مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

العدد الخامس/السنة الثانية
شوال ١٤٣٩هـ - حزيران ٢٠١٨م

أوراق معرفية

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

مدير التحرير

بدر العلي

سكرتير التحرير

حسن علي الجوادي

هيأة التحرير

عقيل النصراوي – موفق هاشم

مهند السهلاني – حسين علي الشامي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود – عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

رسول علي مهدي

المحتويات

١٠ القُرآن كتاب عالمي
السيد محمد حسين الطباطبائي

١٢ اللفظ المناسب للصوت المناسب
د.محمد حسين الصغير

١٥ مفردات القرآن وبيان الفاظه في العربية
الشيخ محمد جواد البلاغي

٢١ خلود القرآن
السيد رياض الحكيم

٢٤ العجائب الكونية ودلالتها على الخالق
الشيخ محمد حسن ال ياسين

٢٨ هل يجب شكر المنعم او لا؟
الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء

٣٠ منهج التثبت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

٣٨ العطاء الإنساني في تراث اهل البيت عليهم السلام
السيد منير الخباز

٤٣ معنى التقليد
السيد محمد علي الرباني

٤٧ بعض اسرار الصوم وامتيازه عن سائر العبادات
الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

٥٠ الإمام علي عليه السلام وأول مراحل الفِدى
السيد زهير الاعرجي

٥٣ سر الإهتمام بتنفيذ جيش اسامة
السيد محسن الأمين

٥٦ حِجر بن عَدي
السيد محمد بحر العلوم.

٦٢ الأنسان والمسؤولية
د.علي القائمي

٦٥ اهمية الاخلاق
السيد احمد المددي

٦٧ حاجة الإنسان المحدودة
الشيخ محمد تقي فلسفي

٦٨ حضر الاسلام القسوة على الفتيات
الشيخ مجيد الصائغ

٧٢ مكتبة الإمام الحكيم
إعداد: اوراق معرفية

٧٥ سلامة الاختراع من الإتباع
إبن ابي الاصبع

٧٧ يا صاحب الأمر
محمد جمال الهاشمي

٧٨ ذكراك تبقى الى ما لا نهايات
الشيخ محمد جواد السهلاني

الورقة الأولى ...

من عظيم سرورنا أننا نلتقي معكم في سنتنا الثانية لمجلتنا الفتية في تاريخ صدورها الكبيرة في طموحها وأمنياتها، آملين لها أن تأخذ دورها المأمول لها بين أخواتها من روافد العلم والمعرفة التي لا تنضب؛ فكيف لثمار شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء أن ينضب؟.

فهذه أوراق معرفية قد ارتُشفت من معين علماء مذهب أهل البيت عليهم السلام، وتميزت بتنوعها وتنوع معارف اسلامنا العظيم مع تشكيلة ثقافية ذات فائدة للمؤمن في عصر التقدم والثورة الثقافية الكبيرة فأضحت أوراقنا منبرا لتلك الثلة المحمدية العلوية التي لم تجد لها في حياتها منبرا سوى منبر تكتيم الأفواه!

ها نحن نقدم لكم مداد العلم المرتشف من معين سماء التوحيد بحلة جديدة وكلنا أمل أن تروق لقرائنا الأعزاء؛ لتكون سراجا وهاجا يضيء لهم دروب الظلام والجهالة، فتكون نافذة جديدة لمن يريد أن يرتقي في سلم التطور والارتقاء الرباني البهيج.

القُرآن كتاب عالمي

السيد محمد حسين الطباطبائي

مفردات القرآن وبيان الفاظه في العربية

الشيخ محمد جواد البلاغي

اللفظ المناسب للصوت المناسب

د.محمد حسين الصغير

خلود القرآن

السيد رياض الحكيم

القرآن كتاب عالمي

السيد محمد حسين الطباطبائي

لا يختص القرآن الكريم في موضوعاته بأمة من الامم كالأمة العربية مثلاً، كما لا يختص بطائفة من الطوائف كالمسلمين، بل يوجه خطابه الى غير المسلمين كما يتكلم مع المسلمين. ودليلنا على هذا، الخطابات الكثيرة الموجهة في القرآن الى الكفار والمشركين واهل الكتاب واليهود وبني اسرائيل والنصارى.. احتج مع كل طائفة من هذه الطوائف ودعاهم الى معارفه الحقة والتدبر في آياته الكريمة.

القرآن احتج مع كل هذه الطوائف ودعاهم الى الدين من دون ان يخصص الخطاب بالعرب و حد هم ، فقال لعباد الاصنام: ﴿**فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين**﴾[1].

وقال لأهل الكتاب: ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله**﴾[2].

---

(١) التوبة: ١١٠

(٢) آل عمران: ٦٤.

فإننا نرى ان الله تعالى لم يوجه الخطاب في هذه الآيات الكريمة وما اشبهها بقوله «فان تاب مشركو العرب»او «يا اهل الكتاب من العرب»وامثال ذلك مما يختص بفئة معينة.

نعم في بدء الإسلام حيث لم تنتشر بعد الدعوة الإسلامية ولم تخرج من اطار الجزيرة العربية كانت الخطابات موجهة الى العرب، اما من السنة السادسة للهجرة حيث انتشرت الدعوة وتجاوزت الجزيرة العربية فلم يبق مجال لتوجيه الخطاب الى أمة خاصة.

بالإضافة الى الآيات السابقة، فهناك آيات اخرى تدل على عموم الدعوة، كقوله تعالى: **﴿واوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾**[1]. وقوله: **﴿وما هو الا ذكر للعالمين﴾**. وقوله: **﴿ان هو الا ذكر للعالمين﴾**[2]. وقوله: **﴿انها لإحدى الكبر * نذيراً للبشر﴾**[3].

ومن الوجهة التاريخية نرى ان كثيراً من عبدة الاصنام واليهود والنصارى لبى دعوة الإسلام كما اسلم ايضا جماعة من قوميات غير عربية كسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي واضرابهم.

القرآن كتاب كامل:

القرآن الكريم يحتوي على الغاية الاسمى التي تهدفها الإنسانية، وهو يدل على تلك الغاية بأتم الدلائل واحسن الشواهد، وذلك لان الوصول اليها لا يمكن الا بالنظرات الواقعية للكون والعمل بالاصول الاخلاقية والقوانين العملية، وهذا ما يتولى شرحه القرآن بصورة كاملة حيث يقول: **﴿يهدي الى الحق والى طريق مستقيم﴾**[4].

ويقول في موضع اخر بعد ذكر التوراة والانجيل: **﴿وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً﴾**[5].

وبياناً لاشتماله على حقيقة شرائع الانبياء يقول: **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى﴾** [6].

وفي احتوائه على سائر الاشياء يقول: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾**[7].

ومختصر ما في الآيات السابقة: ان القرآن يحتوي على الحقائق المبينة في الكتب السماوية وزيادة، وفيه كل ما يحتاج اليه الناس في سيرهم التكاملي نحو السعادة المطلوبة سواءً، كانت من الاسس العقائدية او الاصول العملية.

(١) الانعام: ١٩.
(٢) القلم: ٥٢.
(٣) المدثر: ٣٥.
(٤) سورة الاحقاف: ٣٠.
(٥) سورة المائدة: ٤٨.
(٦) سورة الشورى: ١٣.
(٧) سورة النحل: ٨٩.

كل لفظ في القرآن الكريم اختير مكانه وموضعه من الآية أو العبارة أو الجملة فإن غيره لا يسد مسدّه بداهة، فقد اختار القرآن اللفظ المناسب في الموقع المناسب من عدة وجوه، وبمختلف الدلالات، إلا أن استنباط ذلك صوتيا يوحي باستقلالية الكلمة المختارة لدلالة أعمق، وإشارة أدق، بحيث يتعذر على أية جهة فنية استبدال ذلك بغيره، إذ لا يؤدي غيره المراد الواعي منه، وذلك معلم من معالم الإعجاز البياني في القرآن.

١ - في قوله تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[١] جرس موسيقي حالم، وصدى صوتي عميق، وإطلاق للأصوات من أقصى الحلق وضمها للشفة ثم إعادة إطلاقها، فيما به يتعين موقع «أوبي» بحيث لا يسدّ مسدّها غيرها من الألفاظ، فالمراد بها ترجيع التسبيح من آب يؤوب، على جهة الإعجاز بحيث تسبح الجبال، وهو خلاف العادة، وخرق لنواميس الكون في ترديد الأصوات من قبل ما لا يصوت، ولو استبدل هذا اللفظ في غير القرآن لعاد النظر مهلهلا، والدلالة الصوتية منعدمة.

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): «فإن قلت: أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: وآتينا داود منا فضلا تأويب الجبال معه والطير؟ قلت: كم بينهما ؟ ألا ترى إلى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية، وكبرياء الألوهية، حيث جعلت الجبال منزّلة منزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا، وإذا دعاهم سمعوا وأجابوا، إشعارا بأنه ما من حيوان وجماد، وناطق وصامت إلا وهو منقاد إلى مشيئته، غير ممتنع عن إرادته»[٢].

وتقرأ الآية ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[٣].

(١) سبأ: ١٠.

(٢) الزمخشري، الكشاف: ٣/ ٢٨١.

(٣) سبأ: ١٠.

بالتشديد، وتقرأ بالتخفيف، فمن قرأ (أوّبي) بالتشديد فمعناه: يا جبال سبحي معه، ورجعي التسبيح لأنه قال: سخرنا الجبال معه يسبحن، ومن قرأ (أوبي) بالتخفيف، فمعناه عودي معه بالتسبيح كلما عاد فيه[1].

فالنظام الصوتي بهذا هو الذي يحقق المعنى الجملي، فإن كانت (أوبي) بالتشديد، وهي القراءة المتعارفة، فالمراد التسبيح في ترديده وترجيعه، وإن كانت بالتخفيف، فتعني الرجوع والأوبة، وعليه فالمراد إذن: العودة إلى التسبيح كلما عاد:

٢ - في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2]. تبرز كلمة «أوهن» لتعطي معنى الضعف، وقد تحقق هذا المعنى كلمة (أوهى) ولكن القرآن الكريم استعمل أوهن دون أوهى، وذلك لما يفرزه ضم حروف الحلق، وأقصى الحلق إلى النون من التصاق وغنة لا تتأتى بضم الألف المقصورة إليها صوتيا، وحينئذ تصل الكلمة إلى الأسماع، وتصك الآذان، وهي تحمل لونا باهتا للعجز مؤكدا بضم هذه النون - من ملحظ صوتي فقط - إلى تلك الحروف لتحدث واقعا خاصا يشعر بالضعف المتناهي لا بمجرد الضعف وحده. وكان هذا بتأثير مباشر من دلالة اللفظ الصوتية، إذ أحدثت فيها النون وهي من الصوامت الأنفية صدى وإيقاعا لا تحدثه الألف المقصورة وهي صوت حلقي خالص، لا غنة معه، ولا ضغط، ولا إطباق.

وهذا التشبيه باختيار هذا اللفظ صوتيا، يجمع إليه إيحائيا دلالة أن الأصنام والأشخاص والقيم اللاإنسانية... واهنة متداعية عاجزة حتى عن حماية كيانها، وصيانة وجودها. لأنها في تكوين رخو واهن، وبناء تتداعى أركانه، ومثل هذا التكوين وذلك البناء لا اعتماد عليهما، ولا اعتداد بهما، إنما القوة بالله، والحماية من الله، والالتجاء إلى الله فهو وحده الركن القويم.

قال الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ): «و قد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، وكما أن أوهن البيوت إذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت، كذلك أضعف الأديان إذا استقريتها دينا دينا عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون»[3].

وإذا كان القرآن الحكيم قد امتاز بتخير الألفاظ وانتقائها، فإنه يرصد بذلك ما لهذه الألفاظ دون تلك: «من قوة تعبيرية، بحيث يؤدي بها فضلا عن معانيها العقلية، كل ما تحمل في أحشائها من صور مدخرة، ومشاعر كامنة، لفّت نفسها لفّا حول ذلك المعنى العقلي»[4].

وهو ما تنبّه إليه الزمخشري في تعليله ذلك من ذي قبل.

٣ - وفي قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ

(١) ظ: ابن منظور، لسان العرب: ١/ ٢١٢.
(٢) العنكبوت: ٤١.
(٣) الزمخشري، الكشاف: ٣/ ٢٠٦.
(٤) تشارلتن، فنون الأدب: ٧٦.

﴿أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1].

تنهض كلمة «كل» وهي صارخة مشرأبة، لتوحي عادة بمعنى العالة في أبرز مظاهرها، وقد استعملها القرآن لإضاءة المعنى بما فيها من غلظة وشدة وثقل، لهذا الصدى الصوتي الخاص المتولد من احتكاك الكاف وإطباق اللام على اللهاة، وما ينجم عن ذلك من رنة في الذاكرة، وشدة على السمع، فصوت الكاف في العربية، وهو من حروف الإطباق، شديد انفجاري مهموس، وصوت اللام في العربية، وهو من حروف الأسنان واللثة، مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة [2].

وقد اجتمع المهموس والمجهور معا في هذا اللفظ، فإذا علمنا أن المهموس هو الصوت الذي يظل النفس عند النطق به جاريا لا يعوقه شيء، وأن المجهور هو الصوت الذي يمتنع النفس عن الجريان به عند النطق أدركنا سر اجتماع الكاف المهموسة واللام المجهورة في هذا اللفظ، وما في ذلك من عسر في اللفظ دال على عسر المعنى وغلظته.

يقول أستاذنا المخزومي: «فإذا اجتمع صوت مجهور، وآخر مهموس، فقد اجتمع صوتان مختلفان لكل منهما طبيعة خاصة، والجمع بين هذين الصوتين يقتضي عضو النطق أن يعطي كل صوت منهما حقه، وفي ذلك عسر لا يخفى، فإذا تألفت كلمة وقد تجاور فيها صوتان، أحدهما مجهور، والآخر مهموس، فما يزال أحدهما يؤثر في الآخر حتى يصيرا مجهورين معا، أو مهموسين معا»[3].

لقد ظل النفس جاريا مستطيلا في اللام عند مجاورتها للكاف، وزاد التشديد في استطالتها، لتوحي الكلمة بأبعادها الصوتية: بأن هذا العبد شؤم لا خير معه، وبهيمة لا أمل بإصلاحه، فهو عالة وزيادة، بل هو «كل» بكل التفصيلات الصوتية لهذا اللفظ.

لقد كان اختيار اللفظ المناسب للصوت المناسب حقلا يانعا في القرآن لا للدلالة الصوتية فحسب، بل لجملة من الدلالات الإيحائية واللغوية والهامشية، وتلك ميزة القرآن الكريم في تخير الألفاظ.

[الصوت اللغوي في القران]

(١) النحل: ٧٦.

(٢) ظ: ابن جني، سر صناعة الأعراب، ١/ ٦٩.

(٣) مهدي المخزومي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق: ٨.

مفردات القرآن
وبيان الفاظه في العربية

الشيخ محمد جواد البلاغي

لقد أنزل القرآن الكريم على افصح لغات العرب وأكثرها تداولا ومألوفية لنوع العرب فلا تخفى معاني مفرداته على العرب إلا نادرا لبعض الجهات التي لا ينفك عنها نوع الإنسان كما يروى في الأبّ والقضب في قوله تعالى ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[1] ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾[2] ولكن لما تشرفت الأمم من غير العرب بالإسلام وتطورت اللغة العربية بسبب الاختلاط ومرور الزمان عرض لبعض الألفاظ التي كانت متداولة مأنوسة معروفة المعاني في عصر النزول ان صارت غريبة بعد ذلك في استعمال العامة بعيدة عن فهمهم لمعانيها. ولا زال ذلك يزداد يوما فيوما حتى سرى داؤه إلى بعض الخواص. ولاستراحتهم في ذلك الى الاتباع والتقليد أثر غير هين إذن فيرجع في التفسير لمفردات ألفاظه الشريفة الى ما يحصل

(١) عبس: ٣١.
(٢) عبس: ٢٨.

به الاطمئنان والوثوق من مزاولة علم اللغة العربية والتدبر في موارد استعمالها مما يعرف انه من كلام العرب ولغتهم.

وان للتدبر في أسلوب القرآن الكريم وموارد استعماله وقراءتها دخلا كبيرا في ذلك. واما محض الركون الى آحاد اللغويين تعبدا بكلامهم وتقليدا لآرائهم فذاك مما لا مساغ له. فان الأغلب أو الغالب مما يستندون اليه في أقوالهم ما هو إلا الاعتماد على ما يحصلونه بحسب افهامهم وتتبعهم لموارد الاستعمال مع الخلط للحقيقة بالمجاز وعدم التثبت بالقرائن ومزايا الاستعمال. ألا ترى كم يشهد بعضهم على بعض بالخطأ والوهم ومن شواهد ما ذكرناه ما وقع في تفسير اللمس والمسّ من الاضطراب والخبط. ففي النهاية مسست الشيء إذا لمسته بيدك. وفي القاموس لمسه مسه بيده ومسسته أي لمسته. وفي المصباح مسسته أفضيت اليه بيدي من دون حائل هكذا قيدوه وقال قبل ذلك لمسه افضى اليه باليد. هكذا فسروه. وقال ابن دريد اصل اللمس باليد ليعرف مس الشيء وقال لمست مسست وكل ماس لامس. وقال الفارابي اللمس المس. وفي التهذيب عن ابن الاعرابي اللمس يكون مس الشيء وقال في باب الميم المس مسّك الشيء بيدك. وقال الجوهري اللمس المس ثمّ قال في المصباح وإذا كان اللمس هو المس فكيف يفرق الفقهاء بينهما، انتهى.

ولعلك تذعن بأن الفقهاء احذق في استفادة المعنى من تتبع موارد الاستعمال وذلك لما اعتادوه وشحذوا به أذهانهم من بذل الجهد بالبحث والتحقيق فإن الفرق بين معنيي اللمس والمس واضح بحكم التبادر والتتبع لموارد الاستعمال. وغير خفي ان المعروف والمتبادر تبادرا يجزم معه بعدم النقل عن المعنى اللغوي الأصلي هو ان اللمس هو الإصابة بما به الإحساس من البدن بقصد الاحساس للملموس لا خصوص اللمس باليد ولا مطلق المس نعم كثير من موارد اللمس ما يكون باليد باعتبار انها آلة عادية وأقوى إحساسا. كما ان المس هو مطلق الإصابة لا بقصد الاحساس وقد صرح جماعة من أساطين علمائنا بأن معنى المس لغة بل وعرفا هو ما ذكرناه كما في المعتبر والمنتهى وروض الجنان والحدائق بل والمهذب البارع وأظن ان الذي يحقق في مراجعة العرف والتبادر وتتبع موارد الاستعمال قديما وحديثا لا يشك في ان معنى اللمس هو ما ذكرناه أولا.

ومن شواهد ما ذكرناه هو الاضطراب في معنى التوفي وما استعمل في لفظه المتكرر في القرآن الكريم. فاللغويون جعلوا الإماتة في معنى

التوفي. والكثير من المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[1] إلَيَ قالوا أي مميتك.

وقال بعض مميتك حتف انفك. وقال بعض مميتك في وقتك بعد النزول من السماء وكأنهم لم ينعموا الالتفات الى مادة التوفي واشتقاقه ومحاورات القرآن الكريم والقدر الجامع بينها. وإلى استقامة التفسير لهذه الآية الكريمة واعتقاد المسلمين بأن عيسى لم يمت ولم يقتل قبل الرفع إلى السماء كما صرح به القرآن. وإلى ان القرآن يذكر فيما مضى قبل نزوله ان المسيح قال لله ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾[2] ومن كل ذلك لم يفطنوا الى أن معنى التوفي والقدر الجامع المستقيم في محاورة القرآن فيه وفي مشتقاته إنما هو الأخذ والاستيفاء وهو يتحقق بالإماتة وبالنوم وبالأخذ من الأرض وعالم البشر إلى عالم السماء. وإن محاورة القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك كما في قوله تعالى ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[3] ألا ترى انه لا يستقيم الكلام إذا قيل الله يميت الأنفس حين موتها وكيف يصح ان التي لم تمت يميتها في منامها. وكما في قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾[4].

فإن توفي الناس بالليل إنما يكون بأخذهم بالنوم ثم يبعثهم الله باليقظة في النهار ليقضوا بذلك آجالهم المسماة ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد. وكما في قوله تعالى ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾[5] فإنه لا يستقيم الكلام إذا قيل يميتهنّ الموت وحاصل الكلام ان معنى التوفي في موارد استعماله في القرآن وغيره إنما هو أخذ الشيء وافيا أي تاما كما يقال درهم واف وهذا المعنى ذكره اللغويون للتوفي في معاجمهم وقالوا ان توفاه واستوفاه بمعنى واحد وأنشدوا له قول الشاعر:

ان بني الادرد ليسوا لأحد

ولا توفاهم قريش في العدد

أي لا تتوفاهم وتأخذهم تماما (قلت) لكنّ بين الاستيفاء والتوفي فرقا واضحا من جهة اثر الاشتقاق فإن الاستيفاء استفعال كالاستخراج يشير إلى طلب الآخذ واستدعائه ومعالجته والتوفي يشير إلى القدرة على الآخذ بدون حاجة إلى استدعاء وطلب ومعالجة ولذا اختص القرآن الكريم بلفظ التوفي وعدل عن الأخذ لعدم دلالته على التمام والوفاء كالتوفي

(١) آل عمران: ٥٥.
(٢) المائدة: ١١٧.
(٣) الزمر: ٤٢.
(٤) الأنعام: ٦٠.
(٥) النساء: ١٥.

الدال على تمام القدرة على نحو المعنى في ﴿إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1]. ولك العبرة فيما قلناه بقوله تعالى﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[2] فإنك إن جعلت قوله تعالى﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ معطوفا على الأنفس لم تقدر أن تقول أن معنى يتوفى يميت. وإن قلت ان التوفي في المنام اماتة مجازية قلنا كيف يكون معنى اللفظ الواحد معنيين معنى حقيقيا ومعنى مجازيا ويتعلق باعتبار كل معنى بمفعول ويعطف احد المفعولين على الآخر مع اختلاف المعنى العامل به. وهل يكون اللفظ الواحد مرآة لكل من المعنيين المستقلين كلا لا يكون. وإن جعلت قوله تعالى ﴿والَّتِي لَمْ تَمُتْ﴾ مفعولا لكلمة «يتوفى»مقدرة يدل عليها قوله تعالى﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ قلنا ان دلالة الموجود على المحذوف إنما هي بمعناه كما لا يخفى على من له معرفة بمحاورات الكلام في كل لغة فكيف يجعل التوفي بمعنى الموت دليلا على توف محذوف هو بمعنى آخر.. إذن فليس الا أن التوفي بمعنى واحد وهو الأخذ تماما ووافيا. إمّا من عالم الحياة. وإما من عالم اليقظة. واما من عالم الأرض والاختلاط بالبشر إلى العالم السماوي كتوفي المسيح وأخذه ومن الغريب ما قاله بعض من أن رفع المسيح إلى السماء غير مشتمل على أخذ الشيء تاما، انتهى.

وليت شعري ماذا بقي من المسيح في الأرض وماذا تعاصى منه على قدرة الله في أخذه فلا يكون رفعه مشتملا على أخذ الشيء تاما. هذا ولا يخفى ان القرآن ناطق بأن المسيح ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ورفعه الله اليه وإن عقيدة المسلمين مستمرة كإجماعهم على انه لم يمت بل رفع إلى السماء إلى ان ينزل في آخر الزمان فلأجل ذلك التجأ بعض من يفسر التوفي بالإماتة إلى ان يفسر قوله تعالى يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ أي مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ولكني لا أدري ماذا يصنع بحكاية القرآن لما سبق على نزوله في قوله ﴿وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ﴾[3] - ﴿قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾[4] عَلَيْهِمْ فهل يسوغ ان تفسر هذه الآية بالوفاة بعد النزول وهل يصح القياس في ذلك على قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾[5] وهل يخفى ان مقتضى كلام المسيح في الآيتين هو انه بعد ان توفاه الله وانقطعت تبليغاته في دعوة رسالته وكونه شهيدا على أمته تمحض الأمر ورجع إلى ان الله هو الرقيب عليهم. وان سوق

(١) البقرة: ١٥٦.
(٢) الزمر: ٤٢.
(٣) المائدة: ١١٦.
(٤) المائدة: ١١٧.
(٥) الكهف: ٩٩.

الكلام واتساقه ليدل على اتصال الحالين. وان الرقيب كيفما فسرته إنما يكون رقيبا في وجود تلك الأمة في الدنيا دار التكليف لا الآخرة التي هي دار جزاء وانتقام. ولا تصح الطفرة في المقام من أيام دعوة المسيح لأمته في رسالته وكونه شهيدا عليهم إلى ما بعد نزوله من السماء في آخر الزمان حيث يكون وزيرا في الدعوة الإسلامية لا صاحب دعوة. ومن الواضح أن المراد في الآيتين من الناس الذين جرى الكلام في شأنهم إنما هم الذين كانوا أمة المسيح وفي عصر رسالته ونوبة دعوته وتبليغه.. وأما صرف وجهة الكلام إلى الناس الذين هم في أيام نزوله من السماء فما هو إلا مجازفة فيها ما فيها وتحريف للكلم... وأما قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ فلم يكن اخبارا ابتدائيا يكون وقوع الفعل الماضي فيه باعتبار حال المتكلم كما في الآيتين بل جاء في سياق قوله تعالى ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾[1] في حوادث زمان البعث والقيامة ومقدماتها فهو في سياقه ناظر إلى ذلك الحين وسياق الكلام يجعله بدلالته في قوة قوله ونفخ حينئذ في الصور فهو على حقيقة الفعل الماضي وباعتبار ذلك الحين كما في قوله: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[2]. هذا وبعض المفسرين لقوله تعالى ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾[3] قال أي مميتك حتف انفك. وأقول ان أراد الإماتة بعد نزول المسيح من السماء شارك ما سبق من التفسير فى ورد الاعتراض عليه وان أراد اماتته قبل ذلك وقبل نزول القرآن خالف المعروف من عقيدة المسلمين وإجماعهم في اجيالهم ويرد عليه السؤال ايضا بأنه من أين جاء بالإماتة حتف انفه وماذا يصنع بما جاء في القرآن كثيرا مما ينافي اختصاص التوفي بالموت حتف الأنف بل المراد منه الأخذ بالموت وإن كان بالقتل كقوله في سورة الحج والمؤمن في أطوار خلق الإنسان من التراب والنطفة إلى الهرم. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾[4] ﴿لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل﴾[5] وفي سورة البقرة ٢٣٤ و٢٤١ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾[6] ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾[7] ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾[8] ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾[9] ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾[10]

(١) يس: ٤٩.
(٢) الفجر: ٢٣.
(٣) آل عمران: ٥٥.
(٤) الحج: ٥.
(٥) غافر: ٦٧.
(٦) البقرة: ٢٣٤.
(٧) يونس: ١٠٤.
(٨) النحل: ٧٠.
(٩) السجدة: ١١.
(١٠) الأعراف: ٣٧.

﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[1] ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[2] ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[3] ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[4] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾[5] ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[6] وإنك لا تكاد تجد في القرآن المجيد لفظ التوفي مستعملا فيما يراد منه الإماتة حتف الأنف إذن فمن اين جيء بذلك في قوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ نعم ابتلى لفظ التوفي ومشتقاته بالأخذ بمعناه يمنة ويسرة حتى ان العامة حسبوها مرادفة للموت حتى انهم يقولون في الذي مات توفى بفتح التاء والواو والفاء بالبناء للفاعل ويقولون في الميت (متوفي) بكسر الفاء وصيغة اسم الفاعل.

[الاء الرحمن في تفسير القران]

(١) النساء: ٩٩.
(٢) النحل: ٣٠ - ٣٣.
(٣) الأنعام: ٦١.
(٤) محمد ﷺ: ٢٧.
(٥) الأنفال: ٥٠.
(٦) الزمر: ٤٢.

خلود القرآن

السيد رياض الحكيم

ان خلود القرآن بمعنى أنّه نزل ليبقى أي ليكون مناراً ومرجعاً للأجيال المتعاقبة، ولا يختص بجيل نزوله أو بفترة معينة. وهناك عدة أمور تشهد بذلك..

١ – طبيعة آياته ومحتوياته، فهو بين آيات مرتبطة بالعقائد الصحيحة وبين دعوة الى مكارم الأخلاق وبين تشريعات في مختلف المجالات منسجمة مع الفطرة الإنسانية وصالحة لترتيب شؤون الإنسان وتنظيم علاقاته مع الآخرين.

نعم هناك مجموعة من الاعتراضات والتساؤلات حول بعض التشريعات القرآنية والإسلامية بشكل عام ومدى انسجامها مع تطور المجتمعات، وقد تصدى العلماء للإجابة عليها وتوضيح انسجام تلك التشريعات مع تطور الإنسان، ولسنا بصدد استيعابها هنا، لأنّ مجالها كتب العقائد وفلسفة التشريع، لكن يكفينا هنا أن نشير الى الإعجاب المتزايد بالقرآن الكريم والتشريع الإسلامي من قِبَل مجموعة كبيرة من المثقفين الغربيين، فهذا الألماني المعروف (غوته) يشيد بالقرآن ويضيف: انّي اعتقد ان هذا الكتاب سيترك في القريب العاجل أثره المنجي والعميق في كل جوانب الحياة ويكون بالنتيجة محط أنظار العالم.

ويقول (جول لابوم) – في مقدمة فهرسة القرآن –: القرآن حي الى الأبد، وكل واحد من الناس يستفيد منه بمقدار إدراكه واستيعابه.

ويقول (بايلر) المستشرق المعروف - بعد أن أشاد بالقرآن - في القرآن مواعظ ظاهرة وسيكون في القريب العاجل بلا معارض الى الأبد، وكل شخص يتبع القرآن جيداً ستكون حياته مطمئنة وممتازة ومثالية[1].

٢ - وما يشهد بخلود القرآن ما دل ان شريعة الإسلام آخر الشرائع وان حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة، ونحو ذلك، حيث من الواضح ان القرآن الكريم هو الثقل الأكبر الذي تضمن كثيراً من أصول الإسلام وتعاليمه وتشريعاته، فمن دوام الإسلام وخلوده نعرف دوام القرآن وخلوده.

٣ - ومما يشهد - اسلامياً - بخلود القرآن النصوص الكثيرة في السُنّة التي تأمر المسلمين - بأجيالهم المتعاقبة - بالأخذ بالقرآن والتأمّل فيه وعظمته ونحو ذلك، ويقف في مقدمتها حديث الثقلين المروي بطرق عديدة والمسلَّم عند جميع المسلمين، حيث تضمّن وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين بأجيالهم المتعاقبة بالتمسّك بالكتاب والعترة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنّها ستكون فتن، قلت: وما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه خبر ما قبلكم وما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة رد، ولا تنقضي عجائبه..»[2].

وفي حديث عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: «إنّ رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراية إلّا غضاضةً؟ فقال عليه السلام: «لأنّ الله لم ينزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض الى يوم القيامة»[3].

وفي حديث للإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة في ذم بعض الأزمنة: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلّا رسمه ومن الإسلام إلّا اسمه»[4]. فإنّ ذم هذا الزمان يعني أنّ القرآن أُنزل ليكون مصدر هداية لكل الأزمنة.

ومن الشواهد على خلود القرآن ومرجعيته الدائمة للمسلمين ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من ضرورة عرض الروايات على القرآن وان ما خالف كتاب الله فهو زخرف أو باطل، وفي بعضها الأمر بأخذ النص الموافق للكتاب العزيز[5]، ما يؤكد دوام مرجعية القرآن وهدايته للأجيال المتعاقبة.

(١) يراجع كتاب تاريخ وعلوم قرآن: ١٨٦ و ١٨٩.

(٢) المختصر النافع: ١٧.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٣٩.
(٤) تصنيف نهج البلاغة: ٢١٣.
(٥) الكافي: ١/ ٦٩. وسائل الشيعة: ١٨/ ٧٦ وما بعدها.

العجائب الكونية ودلالتها على الخالق
الشيخ محمد حسن ال ياسين

منهج التثبت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

هل يجب شكر المنعم او لا؟
الشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء

العجائب الكونية ودلالتها على الخالق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

خلقة الارض وكل ما فيها ينطق بكونها ملائمة للحياة، تدور حول نفسها فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار.

وتدور حول الشمس فيكون في ذلك تتابع الفصول، الذي يؤدي بدوره الى زيادة المساحة الصالحة للسكنى فيها، ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية. ولهذا الدوران حساب دقيق لا يزيد ولا ينقص؛ لان زيادته أو نقصانه عما هو عليه الآن لا يسمح بقيام الحياة..

ويحيط بها غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة، و يمتد حولها الى ارتفاع يزيد على (٥٠٠) ميل، ويبلغ هذا الغلاف من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة يوميا إلينا منقضة بسرعة ثلاثين ميلا في الثانية، وهذا الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة، ويحمل بخار الماء من المحيطات الى مسافات بعيدة داخل القارات، حيث يمكن ان يتكاثف مطرا يحيي الارض بعد موتها. والمطر مصدر الماء العذب، و لولاه لا صبحت الارض جرداء خالية من كل اثر للحياة المتحضرة.

ويمتاز الماء بخواص مهمة تعمل على صيانة

الحياة في المحيطات والبحيرات والانهار، ولا سيما في المناطق التي يكون شتاؤها قارصا وطويلا، فالماء يمتص كميات كبيرة من الاوكسجين عند ما تكون درجة حرارته منخفضة. و يطفو الجليد المتكون في البحيرات و الانهار على سطح الماء لخفته النسبية فيهيئ بذلك الفرصة لاستمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة... وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الاحياء التي تعيش في البحار.

اما الارض اليابسة فهي بيئة ثابتة لحياة كثير من الكائنات، فالتربة تحوي العناصر التي يمتصها النبات و يتمثلها و يحولها الى انواع مختلفة من الطعام يفتقر إليها الانسان و الحيوان، ويوجد كثير من المعادن قريبا من سطح الارض، مما هيأ السبل لقيام الحضارة.

ولو ان الأرض كان قطرها ربع قطرها الحالي لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي اللذين يحيطان بها، ولصارت درجة الحرارة فيها بالغة حد الموت.

أما لو كان قطرها ضعف قطرها الحالي لتضاعفت مساحة سطحها، واصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه، و انخفض - تبعا لذلك - ارتفاع غلافها الهوائي، وزاد الضغط الجوي من كيلوغرام واحد الى كيلوغرامين على السنتيمتر المربع، ويؤثر كل ذلك أبلغ الاثر في الحياة على سطح الارض، فتتسع مساحة المناطق الباردة اتساعا كبيرا، وتنقص مساحة الاراضي الصالحة للسكنى نقصا ذريعا، و بذلك تعيش الجماعات الانسانية منفصلة أو في أماكن نائية يتعذر بينها الاتصال.

ولو كانت قشرة الارض اسمك مما هي بمقدار بضع أقدام لامتص ثاني اوكسيد الكاربون والاوكسجين ولما أمكن وجود النبات.

ولو ازيحت الارض الى ضعف بعدها الحالي عن الشمس لنقصت كمية الحرارة التي تتلقاها من الشمس الى ربع كميتها الحالية، وقطعت الارض دورتها حول الشمس في وقت أطول، وتضاعف تبعا لذلك طول فصل الشتاء، وتجمدت الكائنات الحية على سطح الارض.

ولو نقصت المسافة بين الارض و الشمس الى نصف ما هي عليه الآن لبلغت الحرارة التي تتلقاها الارض أربعة أمثالها اليوم، وتضاعفت سرعتها المدارية حول الشمس ولصارت الحياة على سطح الارض غير ممكنة.

وحتى ميل الكرة الارضية الذي يقدر بزاوية قدرها ٢٣ درجة انما كان لدواع دعت إليه، اذ لو كانت الكرة الارضية غير مائلة لكان القطبان في حالة غسق دائم، و لصار بخار الماء المنبعث من المحيطات يتحرك شمالا وجنوبا،

مكدسا في طريقه قارات من الجليد.

وهكذا أصبحت الارض - بحجمها وبعدها عن الشمس وسرعتها في مدارها - تهيئ للإنسان أسباب الحياة. فهل كان ذلك كله محض مصادفة؟!

أما التربة فانه عالم يفيض بالعجائب، و لعل من أبرزها تلك العلاقات المتشابكة العديدة التي لا يمكن ان تكون قد تمت الا عن تصميم و ابداع.

فلننظر الى التربة لكي نرى كيف تنتج من عوامل التعرية، و قد قسمت نواتج هذه العوامل الى اقسام: فهنالك الطبقة المتخلفة السفلى تعلوها الكتل المتخلفة ثم تأتي فوق ذلك طبقة التربة. وجميع الطبقات السابقة تنتج من عملية التفتيت و التكسير التي تسببها عوامل التعرية.

وللتربة اهمية حاصة بالنسبة لنا لأنها مصدر المواد الغذائية الرئيسة التي يحصل عليها النبات في اثناء نموه، كما انها ضرورية لتثبيت النباتات الارضية فوق سطح الارض.

فعندما تتعرض الصخور النارية لعوامل التفتت تزول عنها تدريجيا القواعد القابلة للذوبان في الماء مثل الكالسيوم و الماغنيزيوم و البوتاسيوم، وتبقى اكاسيد السليكون والألومنيوم و الحديد مكونة الغالبية الكبرى من التربة، ولا يصحب هذه العملية انخفاض كبير في المنسوب الفوسفوري، بينما يترتب عليها عادة ارتفاع في نسبة النيتروجين.

و يؤدي تحلل عناصر السليكات الاصلية بتأثير عوامل التفتت هذه الى تكون الصلصال، و من الخواص الكبرى للصلصال قدرته على تبادل الايونات الموجبة، اذ تمكنه هذه الخاصية من الاحتفاظ بالقواعد القابلة للذوبان و اللازمة لنمو النبات.

أما بالنسبة للنيتروجين فحسبنا ان نعرف ان من مصادره الرئيسة هذا البرق الذي يظن كثير من الناس انه ليس اكثر من وسيلة من وسائل التدمير، ولكن التفريغ الكهربي الناتج عن البرق يؤدي الى تكوين اكاسيد النيتروجين التي يهبط بها المطر أو الثلج الى التربة و يستفيد منها النبات. و تقدر كمية النيتروجين التي تحصل عليها التربة بهذه الطريقة في صورة نيترات بما يقرب من خمسة أرطال للفدان الواحد سنويا، و هو ما يعادل ثلاثين رطلا من نترات الصوديوم، وهذه كمية تكفي لبدء نمو النباتات.

ويلاحظ ان كمية النيتروجين الذي يثبته البرق تكون في المناطق الاستوائية اكثر منها في المناطق المعتدلة الرطبة، و هذه بدورها تزيد على الكمية التي تتكون في المناطق الجافة الصحراوية. ومن ذلك نرى ان النيتروجين يوزع على المناطق الجغرافية المختلفة بصور متفاوتة تبعا لمدى

احتياج كل منطقة منها لهذا العنصر المهم. فمن الذي دبّر كل ذلك؟!

ثم ان هذه العجائب التي يغص بها الكون كمنحنيات التوزيع و دورة الماء في الطبيعة و دورة ثاني أوكسيد الكاربون فيها، وعمليات التكاثر العجيبة، وعمليات التمثيل الضوئي، ذات الاهمية البالغة في اختزان الطاقة الشمسية، و ما لها من اهمية بالغة في حياة الكائنات الحية، و هذا الانتظام في ظواهر الكون، والعلاقات السببية، و التكامل و التوافق و التوازن التي تنتظم سائر الظواهر و تمتد آثارها من عصر الى عصر. ان هذه العجائب هل قامت على أساس التخبط والصدفة؟!

وهذه الجزيئات البسيطة التي ليس لها صورة معينة و ليس بينها فراغ، وقد نشأت منها ملايين من الكواكب و النجوم والعوالم المختلفة لها صور معينة وأعمار محددة تخضع لقوانين ثابتة، هل وجدت صدفة؟!

وهذه العناصر الكيمياوية المعروفة التي بلغ عددها مائة ونيفاً هل لاحظ الانسان مقدار ما بينها من أوجه التشابه و الاختلاف؟ فمنها الملون و غير الملون، وبعضها غاز يصعب تحويله الى سائل أو صلب، وبعضها سائل، وبعضها صلب يصعب تحويله الى سائل او غاز، وبعضها هش والآخر شديد الصلابة، وبعضها خفيف والاخر ثقيل، وبعضها موصل جيد و الاخر رديء التوصيل، و بعضها مغناطيسي - والاخر غير مغناطيسي، و بعضها نشيط و الآخر خامل، وبعضها يكون أحماضا والاخر يكون قواعد، وبعضها معمر والاخر لا يبقى الا لفترة محدودة من الزمان. ومع ذلك فإنها جميعا تخضع لقانون واحد هو «القانون الدوري».

ان الفرق بين ذرة عنصر معين وعنصر آخر يرجع الى الفرق في عدد البروتونات والنيوترونات التي بالنواة، والى عدد وطريقة تنظيم الالكترونات التي في خارج النواة، وعلى ذلك فان ملايين الانواع من المواد المختلفة سواء كانت عناصر أم مركبات، تتألف من جزئيات كهربية ليست في الواقع الا مجرد صور او مظاهر من الطاقة. والمادة بوصفها متكونة من مجموعات من الجزيئات والذرات، والجزيئات و الذرات ذاتها، والالكترونات و النيوترونات التي تتألف منها الذرات، والكهرباء والطاقة ذاتها، انما تخضع جميعا لقوانين معينة، بحيث يكفي عدد قليل من ذرات أي عنصر للكشف عنه و معرفة خواصه.

فهل تم كل ذلك مصادفة؟ وهل وجدت القوانين والسنن الكونية من تخبط المادة وعشوائيتها؟؟

[أصول الدين]

هل يجب شكر المنعم أو لا؟

الشيخ الاكبر جعفر كاشف الغطاء

اعلم أن الأشاعرة أبوا حكم العقل بوجوب شكر المنعم على القول بالتحسين والتقبيح وأصحابنا أثبتوه وهو الحق ولابد قبل الخوض في الحجة من بيان ما المراد بالواجب من الشكر والآخر كشف معناه:

أما الأول: فهو إنا لا نعني بوجوب الشكر أنه يجب على المنعم عليه صرف عمره في الطاعات حتى أنه لا يأكل إلّا مقدار الرمق ولا يشرب ولا ينام إلّا مقدار الضرورة فإن هذا إن لم يمنعه العقل لا يوجبه بل المراد بالشكر الواجب ما يخرج به العبد عن الاتصاف بالكفر وهذا المعنى بالعرف.

وأما الثاني: فهو أنه مقابلة النعمة بجزاء ما ذكر باللسان أو خدمة بالأركان أو اعتقاد بالجنان فيشمل فعل العبد ائتماراً وتركه انزجاراً واعتقاد الإحسان واعلام اللسان. لنا وجوه:

١.. أنه دافع للخوف فيكون واجباً، بيان الأولى إن كل أحد يعلم أن المنعم قد يوصل لنعمته طالباً للجزاء وإن كان صورة وقد يعطى مجاناً ولا يريد صورة الجزاء وإذا كان كذلك قام الاحتمال عند العقل فيبقى مضطرباً وهو معنى الخوف بل قد يزاد على أنه يظن الأول لا يحتمله فقط ودفع المظنون أظهر وجوباً.

وقد يقال هذا وإن قام في غير الواجب

لكنه لا يقوم فيه تعالى إذْ هو منزه عن الحاجة والنقص؟ وجوابه إن المصلحة في الحقيقة راجعة إلى العبد ليزيد عليه النعم إذا وجده شاكراً ويكون ذلك في صورة الاستحقاق فإذا قام احتمال التحتم لما ذكرنا ثبت المطلوب.

٢. إنه لو لم يجب لم تجب المعرفة، بيانه إن المعرفة لا لداعي عبث فلا تكون واجبة وإن كانت لداعي ثبت المطلوب لأن الغرض منها التهيؤ لامتثال الأوامر والنواهي إذا طلب وذلك من جملة الشكر وأيضاً لا نرتاب في أن جحود النعم وكفرها قبيح بديهية فالاعتراف بها واجب وهو معنى الشكر والواسطة بين الكفر والشكر أعني الاعتراف والإنكار حين ورود النعم غير معقول.

وقد يقال إنما وجبت لدفع الخوف لا للشكر؟ والجواب الخوف موقوف على الاحتمال المتقدم وهو لازم لوجوب الشكر.

٣. الضرورة القاضية بذلك فإنه لا يخفى على الأطفال والجهال إذ من ضمن مؤنة شخص مدة دهره وقام بلوازمه طول عمره ولم يسأل حاجة إلّا قضاها وطلبة إلّا أداها ثم تناول غذاءً فيه سم أو جاءه حيوان يقتله يمكن دفعه بسهولة وكان ذلك قادراً على إعلامه وتخليصه بأدنى يسر وجب عليه تخليصه لإنعامه وذم كل أحد على خلافه.

٤. الآيات الدالة على الذم على عدم الشكر وليس معناها إني أوجبته عليكم فكيف لا تأتون به كما لا يخفى على الناقد البصير.

احتج الأشاعرة بوجهين:

الأول: إن الوجوب لا لفائدة عبث وإن كان لفائدة فإن كانت عاجلة فالمعلوم عدمها وإن كانت آجلة أمكن الإيصال من دونها؟ والجواب نختار الأول وكون المعلوم عدمها ممنوع فإنا نعلم أن الشكر له مدخل في ترتيب الأغراض وحصول المطالب وأيضاً العاجلة إلّا منة وأيضاً لم لا يجب كونه شكراً لله لا لفائدة أصلًا. وأيضاً لا تكون الفائدة آجلة في وصول النعم على جهة الاستحقاق، وأيضا يمنع إمكان الوصول من دونها إذْ عنى به غير القدرة فربما تكون المرتبة المعطاة بمقابلة الشكر قبيح إعطائها لغير الشاكر، وأيضاً لا ريب في إعطاء الشاكر ما يخصه والفصل مشترك بينهما فيتعذر وصوله.

الثاني: قوله تعالى ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾[1] وجه الدلالة إن الله نفى العذاب قبل البعثة ولو أن العقل استقل بوجوب الشكر لوجب قبلها فيترتب العقاب واللازم باطل بمقتضى الآية فالملزوم مثله؟ والجواب قد مر سابقاً فلا يفيد التفريع.

[غاية المأمول]

(١) الإسراء: ١٥.

منهج التثبت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

الحلقة (٤) : الجانب التكويني للرؤية الدينية

وهو الجانب المتضمن لبيان الحقائق الكبرى في الكون، ويدور حول موضوعين:

الاول: الخالق والإنسان وقد مر تفصيله في الحلقة السابقة.

الموضوع الثاني الإنسان: ويتضمّن أمرين: **(أحدهما): عناية الخالق الخاصة بالإنسان، و(الآخر): حقيقة الإنسان وأبعاده الوجودية**

١.الأمر الأول - عناية الخالق الخاصة بالإنسان:- إن الرؤية الدينية ترى أن هناك اعتناءً خاصاً لخالق الكون بالإنسان؛ لأنه الذات العاقلة المختارة - بين سائر الكائنات المادية - التي تدرك هذه الحياة المادية وسننها، وبإمكانه اكتشاف مكنوناتها وأسرارها وقوانينها، واستثمارها والاستمتاع بها. ومن ثمّ أمكن مخاطبته وتعليمه من قبله تعالى.

كما أن بإمكانه الاطلاع على وجود الخالق، من خلال ما يجده من آثار صنعه وإبداعه، كما إنه يتمتّع بالضمير الذي يمكن معه أن يقدّر الإنعام عليه بالشكر والثناء والأدب.

وتتمثّل هذه العناية الإلهية - وفق الرؤية الدينية - في أمور:

(**الأمر الأول**): كون الإنسان خليفة الله على هذه الأرض، وكأن ذلك بالنظر إلى ما مُنح من: الاختيار في التصرف، وقابلية الاطلاع على سنن الكون وأنواع الكائنات فيه..فهو بذلك سيد الكائنات وأرقاها على وجه البسيطة، وهو المقصود بتفهيم قدرة الله سبحانه وإبداعه في خلق تلك الكائنات وسننها. وقد شعر بهذه الحقيقة جمع من علماء الطبيعة.

(**الأمر الثاني**): تمهيد العالم لاحتضان الإنسان وتسخيره له. وذلك بأن خُلِقَ بعد خلق الأرض والفضاء، وبعد خلق النباتات والحيوانات والمعادن؛ وسائر ما في هذه الحياة ممّا أوجده الله تعالى لتكون بيئة تحتضن الإنسان، كما يعتني الأبوان في إيجاد بعض المقدمات تهيئة لولادة الطفل.. ولقد ورد التنبيه على ذلك في كتاب الله، فقال عز من قائل: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾[1]، وقال: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾[2] كما سخر سبحانه سائر الكائنات الموجودة حول الإنسان له، من الشمس والقمر والنجوم والنباتات والحيوانات.. فكان هو المنظور بإيجادها وخلقها؛ لأن كثيراً من تلك النعم لا يستفيد منها ولا يعيها غير الإنسان، كأنواع المعادن والمُرَكَبات التي يستثمرها في صنع الأدوات، والثمار التي ينتفع بها هو خاصة.

وحتى الكائنات التي ينتفع منها غير الإنسان من الحيوانات والنباتات، فإن هيمنة الإنسان - الذي هو أرقى الكائنات خلقاً - وسيطرته عليها جميعاً واستثماره إياها بالنحو الأمثل يوحي بأنه هو المنظور منها.

(**الأمر الثالث**): اقتران خلق الإنسان في ابتدائه بمخاطبته وتعليمه وإكرامه، كما جاء ذلك في قصة خلق آدم عليه السلام.

(**الأمر الرابع**): إسعاف الله تعالى الانسان وإغاثته إياه: فإذا سأله أعطاه وإذا دعاه أجابه وإذا استعان به أعانه..فإن الله تعالى - بعد أن كان واضع سنن الحياة ومبدعها - يملك التصرف في الأشياء وله خزائن الإجابة في السماوات والأرض وجنودهما، وهذه الاستجابة والإعانة على نحوين: (**أحدهما**): أن تكون على وجه معلن؛ بخرق سنن الحياة من خلال المعجزات الواضحة والخوارق البيّنة، نظير ما صدر منه تعالى في مقام بيان حقانية رسله أو في ما اتفق

(١) لقمان: ٢٠

(٢) البقرة: ٢٩

من إكرام بعض أوليائه.

و(**الآخر**): أن تكون من خلال التحكم في الأشياء من بواطنها، عبر توجيه دفة الأمور الذهنية والنفسية إلى مسار معيّن - بنحو غير مشهود للإنسان - حتى يحقق مطلوبه، وقد يكون من ذلك ما ورد في الآية الشريفة[1] من الوحي إلى أمّ موسى عندما كانت متحيرة في ما تصنعه بوليدها الذي يمكن أن يقتله فرعون، فألهمها الله تعالى وأوقع في قلبها ما يوجب انقاذه.

ومن ثمّ فإن الالتجاء إلى كائن أعلى قادر على إسعاف الإنسان في مواطن الضعف وعوارض الحاجة، مما غرس في فطرته، كما يؤكده تاريخ حياته.

وإذا كان الخالق من غرس هذا التوجه الفطري في نفس الإنسان فإنه جعل بإزائه استجابة له، كما جعل في الرضيع روح الالتجاء إلى الأم وجعل في الأم روح الاستجابة له والعطف عليه.

ويُنبّه على هذا المظهر جملة من الآيات الشريفة، قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾[2]، وقال: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا**﴾[3]، وقال: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[4]، وقال: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾[5]، وقال: ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا**﴾[6].

(الإسعاف الإلهي محدود بحدود نظام الابتلاء):

إلا أن هذه الاستجابة الإلهية لا تكون - كماً وكيفاً - بنحو تختل بسببها سنن الكون ومقادير الحياة؛ فتتغيّر عمّا بنيت عليه من موت الإنسان، وزوال الأشياء، ووقوع العلل والأمراض.. فهو يستجيب لعباده عموماً من حيث لا يحتسبون بما لا ينقض نظم الحياة، إلا في حالات تقتضي تدخلاً معلناً بالخوارق والمعجزات.

وهذه سنة راسخة عامة، حتى بالنسبة للأنبياء والصالحين؛ إذ لم تكن الاستجابة لهم استجابة مطلقة، ولا كانت الإعانة إعانة غير محدودة.

(**الأمر الخامس**): إن علاقة الخالق

(١) القصص: ٧.
(٢) النمل: ٦٢.
(٣) نوح: ١٢.
(٤) البقرة: ١٨٦.
(٥) العنكبوت: ٦٥.
(٦) الإسراء: ٦٧.

بالإنسان علاقة محبة ووداد؛ فهو يحب معرفتهم إياه وتواصلهم معه وتقديرهم نعمه، وقد ورد في آيات كثيرة أن من صفاته سبحانه تجاه الناس عامة وليس خصوص المؤمنين: الرحمة والرأفة والود واللطف والحلم والمحبة.

وقد خُلق الإنسان بنحو يكون صالحاً لمعرفة الله ومخاطبته وتعليمه؛ فزُوِّد بالعقل الذي هو أداة الإدراك والتفكير والتعلّم والتعليم والمخاطبة والبيان وغرس فيه حب الاطلاع والاستطلاع لما خفي عنه من شؤون الكون والكائنات.

كما أنه غرس فيه الضمير الذي هو أساس الأخلاق لكونه - فضلاً عن تنظيمه العلاقة بين الناس أنفسهم - ممهداً لشعورهم بالشكر تجاهه ورعاية الأدب معه.

ثم أنه من وراء ذلك سخّر لهم إمكانات الكون ووعد بإسعافهم إذا التجؤوا إليه، وأرسل لهم رسلاً يشرحون لهم حقائق الحياة وآفاقها.

فهو سبحانه يحب أن يعلم الإنسان به وبأنعامه، وبأن يعيش تجاهه روح الشكر والامتنان ويكون معه وفق لياقات التواصل والأدب. ومن ثَمَّ جاء اعتبار الإيمان شكراً لله فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[2]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3] وفي كثير من الآيات بعد ذكر الكائنات التي سخرها للإنسان قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وقد عتب سبحانه على الإنسان في عدم شكره تعالى كما هو حقه فقال بعد ذكر نعمه: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهٰرَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[4].

(**الأمر السادس**): إن خالق العالم سبحانه رب لكلّ كائناته، وربوبيته لكل شيء وفق ما يناسبه.. وحيث إن الإنسان زوّد بالعقل.

والضمير لم تكن تربيته على حد تربية النبات والحيوانات، بل هي تربية خاصة، يمكن تمثيلها - ولله المثل الأعلى - بتربية الأبوين للأولاد، لا كتربية الحيوانات لأبنائها.

(**العناية الإلهية تأمين للإنسان**): ومن شؤون هذه العلقة الخاصة لله تعالى بخلقه - فضلا عن إسعافه إياه وعنايته به - شعور الإنسان بالطمأنينة والسكينة النفسية التي هي إحدى الحاجات الأساسية للإنسان.. فهو كالتأمين الذي تقدمه الدول والشركات؛

(١) الزمر: ٧.
(٢) الإنسان: ٣.
(٣) الذاريات: ٥٦.
(٤) إبراهيم: ٣٤،٣٣،٣٢.

لإسعاف المرء في مواطن حاجته، يشعر في ظلها الإنسان بالطمأنينة، ويعطي في مقابل ذلك مبلغا من المال، أو كلأبوين اللذين يشكل وجودهما

٥. وهو يتفرع على النقطة السابقة.

٦. ولذا حكي عن بعض الكتب السماوية التعبير عن الله تعالى بـ(أبينا الذي في السموات)، ومنشأ هذا التعبير الرعاية الإلهية بالنسبة إلى الخلق.

٧. كما أن العشيرة والعاقلة في المجتمعات القبلية نحو تأمين للفرد، ففي حال تعدى أحد عليه فهم ظهره وأعوانه، وفي حال حاجته إلى المال هم يعينونه ويسعفوه، كما في موارد قتل الخطأ أو ما إلى ذلك، فوجود العشيرة تأمين لأفرادها.

ومن هنا نلاحظ أن الذين يخلعون عن عشائرهم يتوجهون إلى عشيرة أخرى ويتعاقدون معها بالعقد المعروف في الفقه في كتاب الميراث بضمان الجريرة.

طمأنينة نفسية للأولاد؛ ولذا قد لا يبلّغ الطفل بوفاة أبيه إذا كان قد علم بوجوده وعقِل ذلك، حتى يبقى على هذا الشعور بالطمأنينة - رغم أن الأب ميت واقعاً -، فيقال له: أنه مسافر؛ حتى لا يعيش فراغاً وعوزاً نفسياً.

(الأمر السابع): ورغم أن الأصل في تعامل الله سبحانه مع الإنسان المحبة والمودة، إلا أنه تعالى حيث مَنحه الاختيار فيما يختاره ويسير إليه؛ فقد اقتضت حكمته أن يجعل حياة الإنسان مضماراً يتسابق فيه الناس ليتولى كل امرئ ما تولاه، فتتفاوت درجاتهم حسب مساعيهم ومراتبهم فلا يتساوى الكامل والناقص ولا النبيل والفاجر..

١. فإذا اعتنى الإنسان بما أراده الله تعالى، فعرفه وشكره وقدره وأذعن برسالته إليه، ازدادت عناية الله تعالى به، وزادت نعمه عليه، وتولاه ولاية خاصة، قال عزّ من قائل: ﴿**ولئن شكرتم لأزيدنكم**﴾[1]

٢. وإذا ترك ذلك جحوداً وكفراناً اعتبر عاقاً لله تعالى؛ فأوكله إلى نفسه، وسلبه بركات نعمه.

٣. وإن جهل ذلك كان جهله - ولو عن عذرٍ - نقصاً لا يصل معه إلى درجة العالم به الشاكر له، ولا ينزل به إلى الدرجة الجاحد له المتنكر لنعمه؛ فالجاهل لا يكون كالجاحد ولا كالعالم.

(الأمر الثامن): إن الله تعالى بعث إلى الإنسان رسالة منخلال أفراد اصطفاهم من خلقه؛ ينبهم فيها على كل ما تقدم من الحقائق التكوينية؛ ليكونوا على بينة اتجاه نظام الوجود والحياة واتجاه نفسه.. كما أنه يسعفه في الجانب التشريعي بدعوته إلى مقتضيات الفطرة - من

(١) إبراهيم: ٧.

رعاية الحقوق وتحرّي الفضائل - والفاته إلى أنه يعيش في مضمار للسبق تتبلوّر أعماله كلها حسب محتواها من خير أو شر في نشأة أخرى، قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

(**الأمر التاسع**): تعهد إلهي بولاية خاصة للمؤمنين من خلقه؛ فمن آمن بالله تعالى - بأن تولاه واعتمد عليه وأحسن الظن به وفوّض أموره إليه -؛ يتولاه الله تعالى - بمقدار قبوله بولاية الله وتقديره لما بلغه عنه -، على أنه سبحانه لن يُكرهه على مقدار تقبله، بعد أن كانت الحياة مبنية على كون الإنسان مختاراً فيها، قال تعالى: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[2].

ومثل الإنسان بالنسبة إلى الله تعالى في ذلك - و لله المثل الأعلى - مثل الابن بالنسبة إلى الأب الحكيم العاقل، فبمقدار ما يستجيب الابن ويرضخ لولاية أبيه يوجهه الأب - من حيث يحتسب أو لا يحتسب - إلى مقتضيات الحكمة والسعادة، وبمقدار ما يكره ويشاكس ولا يرغب في تدخل الأب في أموره يتركه الأب إلى حاله.

وقد أُشير لذلك في غير آية من كتاب الله، قال تعالى: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾، وقال: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا، يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[3] وقال: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] وقال: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[5]، وهو إشارة إلى تأكد الولاية بتأكد الإيمان وبلوغه إلى درجة التقوى، فمن آمن بالله ولم يكفر به ولم يجحد رسله فهو وليه بمقدار ما يلتجأ إليه ويتعرف عليه ويقدّر ما بلغه عنه.

(**الأمر العاشر**): إن الناتج من السنن الإلهية في خلق الكون والإنسان وجود نظامين لله سبحانه:

(**أحدهما**): نظام تكويني عام جارٍ على جميع الكائنات بما فيها الإنسان؛ حيث صنعها على نظام معين وسنّ لها سنناً تجري عليها، وهي متناسقة مطردة، حسب ما تمليه صفة حكمته سبحانه في التكوين. ويعبّر عن الإرادة الإلهية الموجبة لهذا النظام بـ(الإرادة التكوينية).

(**وثانيهما**): نظام تشريعي لتنظيم فعل الكائنات العاقلة المختارة لتوجيهها إلى المسار الصحيح النافع لها ولنوعها. ويعبّر عن الإرادة الإلهية الموجبة لهذا النظام بـ(الإرادة التشريعية).

ومن الطبيعي أن لا تتدخل الإرادة الإلهية التكوينية في قهر الذات العاقلة المختارة على المسار التشريعي، وإلا لم يكن لتلك الذات اختيار في القرار، ولما كان النظام تشريعياً، بل

(١) الملك: ٢.
(٢) هود: ٢٨.
(٣) البقرة: ٢٥٧.
(٤) آل عمران: ٦٨.
(٥) الجاثية: ١٩.

كان جزءاً من النظام التكويني.. وكان من نتائج ذلك أن تكون السنن التكوينية مسخرة بإذنه تعالى للإنسان فيما يمارس اختياره فيه، ومن ثَمَّ يمكن أن يستعين الإنسان في ظلمه لأبناء نوعه بالأدوات والآلات الفاعلة بحسب السنن الكونية متى أراد الإنسان أن يستغلها في الظلم والتعدي.. فتؤثر أثرها إلا فيما التجأ المظلوم إلى الله لإسعافه - وفق قوانين التدخل الإلهي الخاص، على ما سبق بيانه -، ولا يتصف إذنه سبحانه في عمل تلك القوانين بالظلم للعباد.

وبذلك يتضح:

١. إن من الخطأ أن ينسب الإنسان ما يستتبع اختياره إلى الله تعالى فيجعله قدراً محتوماً بما يقتضي نفي المسؤولية عنه؛ فإن ذلك افتراء في أمور التكوين على الله سبحانه، لا يقل خطيئة وخطراً عن الافتراء عليه في التشريع.

٢. ومن الخطأ أيضاً أن ينسب الإنسان إليه سبحانه ما يترتب في المجتمع من المضاعفات السلبية والظواهر الخاطئة ويجعله قدراً محتوماً، بما يجر إلى تخدير المجتمع عن إصلاح حاله ويؤدي إلى تفاقمه.. قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[1].

٣. إن من الخطأ أيضاً أن يستدل الإنسان على صواب فعله بإذنه تعالى فيه، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**﴾[2].

٤. إن إذن الله سبحانه للإنسان في أن يعمل باختياره ما يكون سيئاً وخطيئة لا ينافي كرهه سبحانه لهذا العمل كراهة تشريعية؛ لما فيه من المفسدة للإنسان؛ بعد أن اقتضت الحكمة الإلهية سن تلك السنن الكونية وحفظها في بيئة الإنسان.

ويماثل ذلك في حياتنا - و لله المثل الأعلى -: ما يعمد إليه الأب من تنظيم أمور البيت على منوال معين من حيث ما يوفره من الآلات والأدوات والإمكانات، ولكنه قد ينهى الابن عن استعمال آلة في وقت أو مجال ما لمصلحة، ولا يحول دون هذا الاستعمال وإن كان قادراً عليه؛ لأنه يريد أن يمتنع الابن بإرادته ويتحمل مسؤولية عمله بنفسه، ولا يرى مصلحة في التدخل بالحيلولة بينه وبين ما يريد عملاً.

(١) الاعراف: ٩٦.

(٢) الزخرف: ٢٠.

علم الفقه، علم الأصول، علم الرجال، علم الحديث

العطاء الإنساني في تراث اهل البيت عليهم السلام
السيد منير الخباز

بعض اسرار الصوم وامتيازه عن سائر العبادات
الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

معنى التقليد
السيد محمد علي الرباني

المحور الثالث

العطاء الإنساني في تراث أهل البيت

السيد منير الخباز

هل اقتصر دور أهل البيت على بيان الأحكام الفقهية؟ هل اقتصر عطاء أهل البيت على بيان المعلومات المتعلقة بالعالم الآخر، ألا وهو عالم الأمر؟ ليس الأمر كذلك. عندما نقوم باستقراء روايات أهل البيت، وعندما نقوم بتتبع تراث أهل البيت، نكتشف أن العطاء الإنساني الذي تميز به أهل بيت النبي «صلوات الله عليهم أجمعين» لم يصدر عن أي مذهب آخر، ولم يصدر عن أي علماء آخرين، ولم يصدر عن أي عمالقة آخرين، أهل البيت تميزوا بعطاء غزير ونتاج ثر في مختلف الحقول المعرفية البشرية، وهنا أذكر لك عدة أمثلة في عدة حقول.

الحقل الأول: الحقل الفكري.

هل يستطيع إنسان أن يقول: إن الذي تحدث عن المعارف الفكرية هم الفلاسفة، ديكارت، سارتر، كانت، أفلاطون، أرسطو، أين حديث أهل البيت عن عالم الفكر؟! هذا خطأ، لأنه لم يقرأ تراث أهل البيت، الفكر - كما يذكر الفلاسفة - مكون من عنصرين: صورة ومادة، الصورة تعني كيف تنظم أفكارك تنظيمًا منتجًا، وهذا العنصر تحدث عنه فلاسفة اليونان، وأما العنصر الآخر فهو المادة، أي: ما هي المنطلقات الفكرية التي إذا انطلقت منها وصلت إلى الفكر الصائب؟ هذه المنطلقات الفكرية تسمى بالمادة، هل تحدث أهل البيت عن هذا العنصر الضروري في مجال تصحيح الفكر؟

نعم، القرآن الكريم يقول: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، الكتاب معروف، يعني يفسر لهم القرآن، لكن ما معنى الحكمة؟ الحكمة هي المنطلقات الفكرية التي إذا بدأ الإنسان بها وصل إلى الفكر الصائب، الحكمة تجلت في فم أهل البيت «صلوات الله

وسلامه عليهم أجمعين».

ارجع إلى نهج البلاغة، ٤٦٨ مقالة صدرت عن فم أمير المؤمنين علي لا تتحدث إلا عن الفكر، لا تتحدث عن الآخرة ولا عن الموعظة ولا عن الدين، ٤٦٨ مقالة علوية في نهج البلاغة تتحدث عن الفكر الإنساني بما هو فكر، تتحدث عن المنطلقات التي لو انطلق منها الإنسان لوصل إلى الفكر الصائب. «**يا كميل، القلوب أوعية، وخيرها أوعاها**»، «**يا كميل، احفظ عني، فإن الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع**»، «**يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال**»، الإمام أمير المؤمنين عندما يتحدث ويقول: «**قيمة كل امرئ ما يحسنه**»، عندما يقول: «**من شاور الناس شاركهم في عقولهم**»، عندما يقول: «**العلم نوعان: مسموع ومطبوع، ولا ينفع المسموع دون المطبوع**»، عندما يقول: «**ما لابن آدم والفخر، وإنما أوله نطفة، وآخره جيفة**»، كل هذه المقالات تتحدث عن الفكر الإنساني.

إذن، أهل البيت قدموا عطاء ونتاجًا غزيرًا على مستوى الفكر البشري، على مستوى تصحيح الفكر وجعله فكرًا مثمرًا منتجًا، ولذلك ترى المذهب الإمامي يتميز على المذاهب الأخرى بأنه مذهب عقلاني، علماء الإمامية يقولون: أدلة الأحكام الشرعية أربعة: الكتاب والسنة والإجماع والعقل، العقل أحد مدارك الاستنباط، الإمامية يقولون بأن العقل له المجال في تحديد الفروع وتحديد الأصول.

أول من تكلم، وأول من تحدث في مجال علم الكلام، الذي هو علم عقلي محض، أول من تحدث في ذلك الكميت بن زياد الأسدي الشاعر المعروف، هذا الشاعر الذي يقول:

وما لي إلا آل أحمد شيعة
وما لي إلا مذهب الحق مذهبُ

بنو أحمد آل النبي ورهطه
بهم ولهم أرضى مرارًا وأغضبُ

أول من تعاطى في علم الكلام الكميت ابن زياد، وهو من الشيعة، هشام بن الحكم، هشام بن سالم. أول من تحدث في علم الكلام من المذاهب الإسلامية الأخرى واصل بن عطاء، وواصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، أخذ علم الكلام عن أبي هاشم، وأبو هاشم أخذه عن أبيه محمد ابن الحنفية، وقد أخذه عن أبيه أمير المؤمنين علي، إذن مذهب التشيع، فكر أهل البيت هو فكر عقلاني، ولذلك أول الفلاسفة على مستوى الفلسفة الإسلامية هم من الشيعة، صدر المتألهين، ابن سينا، المحقق الداماد، نجوم الفلسفة هم من الشيعة الإمامية، لأن المذهب نفسه مذهب عقلاني، لأن فكر أهل البيت نفسه هو فكر يخاطب العقل ويتحدث مع العقل،

فكيف يقال بأن أهل البيت لا نصيب لهم في مجال الفكر البشري، وإنما مجالهم محصور في بيان الأحكام الفقهية المروية عن الرسول محمد ؟!

الحقل الثاني: الحقل الروحي.

المجال الروحي أهمله علماء النفس، وأهمله الفلاسفة، وتحدث عنه فكر أهل البيت «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، أليكسس كاريل في كتابه «الإنسان، ذلك المجهول»يقول: شخصية الإنسان مؤلفة من أبعاد أربعة، كل إنسان يمتلك أربع غرائز: غريزة حب النفس، كل إنسان يحب نفسه، غريزة حب الجمال، كل إنسان يحب الجمال بمختلف صوره وألوانه، غريزة الفضول والاكتشاف، كل إنسان لديه غريزة، يريد أن يكتشف الأشياء التي حوله، يصل إلى الأشياء الغامضة.

وهناك غريزة رابعة متأصلة في شخصية الإنسان، وهي غريزة التأله، كل إنسان يمتلك غريزة التأله، كل إنسان يتعلق بشكل أوتوماتيكي بما وراء الطبيعة، قد هو لا يعرف الله ما هو، قد لا يعرف هذا الإنسان أن هناك إلهًا أو خالقًا، لكنه إذا اكتشف وجدانه يرى في وجدانه تعلقا بقوة، تعلقا بما وراء الطبيعة، تعلقا بما وراء المادة، هذه الغريزة غريزة التعلق بما وراء المادة المعبر عنها بالتأله غريزة متاصلة في كل إنسان.

ولذلك التاريخ الجيولوجي يقرر أنه لم يمر عصر على البشرية إلا وكان فيه عبادة، لم يأت عصر من دون عبادة، منذ أول بشر وطأ على الأرض إلى الآن، لا يوجد قوم من البشرية إلا وكانوا يمارسون نوعًا من العبادة، لأن غريزة التأله غريزة متأصلة في عمق الإنسان، في هوية الإنسان، لذلك نحن نتساءل: الفلاسفة، علماء النفس، أرباب الاختراع والاكتشاف، أشبعوا الغرائز الأخرى وتحدثوا عنها، لكن بقيت هذه الغريزة الرابعة، وهي غريزة التأله، من الذي تحدث عنها؟! من الذي اكتشفها؟! من الذي وضع لها ضوابط وحدودًا وطرقًا لمعالجتها؟! ليس هناك إلا تراث محمد وآل محمد.

إذن، تراث أهل البيت تحدث عن المجال الروحي الذي لم يتحدث عنه المفكرون البشريون الآخرون، وهذا المجال.. وهو تغطية حاجة الإنسان إلى التأله بوضع الضوابط والطرق التي تنمي هذه الحاجة وتصقلها وتضعها في مكانها اللائق بها. ولذلك تأتينا الصحيفة السجادية، زبور آل محمد، الصحيفة السجادية مجالها غريزة التأله، الصحيفة السجادية تتحدث عن غريزة التأله، كيف تعالج هذه الغريزة؟ كيف تنظمها؟ كيف توصلها إلى خالقها تبارك وتعالى؟ إذن تراث أهل البيت يتحدث عن مجال لم يتحدث عنه المفكر البشري أو الفيلسوف البشري الآخر.

الحقل الثالث: المجال المادي.

ربما إذا سمع الإنسان بالمجال المادي يقول: هذا ليس من اختصاص أهل البيت، لم يتحدثوا في مجال الطبيعة ومجال المادة، هذا اختصاص نيوتن وأينشتاين ونحوهما، أهل البيت لا علاقة لهم بعالم الطبيعة، لا اختصاص لهم في هذا المجال كي يتحدثوا عن معلومات في إطار هذا المجال.

ولكن هذا التصور خاطئ جدًا. ارجع إلى تراث أهل البيت «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، عندنا رسالة في علم الطب عن المفضل ابن عمر عن الإمام الصادق روتها كتب الإمامية، ومنها الشيخ المجلسي في كتاب البحار، رسالة تتحدث عن حقائق علم الطب، وليس عن نظريات علم الطب التي تقبل الخطأ والصواب والتطوير والتكامل، هناك رسالة أخرى للإمام الرضا تسمى الرسالة الذهبية في علم الطب، الدكتور محمد علي البار أستاذ في جامعة جدة، وهو ليس من الشيعة، بل هو من المذاهب الإسلامية الأخرى، بنفسه حقق هذه الرسالة، ونقحها، وأرجعها إلى مصادر علم الطب، وهي رواية مروية عن علي بن موسى الرضا «صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين».

تعال إلى مجال علم الكمياء، هذا علم مادي، علم طبيعي، هل تحدث عنه أهل البيت؟ نعم، ارجع إلى ما قام به هوليارت فيما طبعه من مصنفات جابر بن حيان، جابر بن حيان له مجموعة من المصنفات، منها مصنف في علم الطب، منها مصنف في علم السحر، منها مصنف في الطلسمات، منها ثلاثة مصنفات في علم الكيمياء، هذا الباحث المستشرق البريطاني هوليارد سنة ١٨٩١ ترجم مصنفات جابر بن حيان من العربية إلى الإنجليزية، وطبعها في الهند، ثم أعيد طبعها في باريس سنة ١٩٢٨، هذه المصنفات في علم الكيمياء علق عليها هذا المستشرق، قال: حقيقٌ بجابر بن حيان أن يعد من أساطين علم الكيمياء، هو من أساطين هذا العلم، من هو جابر بن حيان؟ ومن أين استفاد هذا العلم؟

أنت ارجع بنفسك لهذه النسخ المطبوعة، جابر بن حيان يتحدث في هذه المصنفات التي تتكلم عن علم الكيمياء ويقول مخاطبًا القارئ: وحق سيدي جعفر بن محمد لولا أن سيدي أفاض هذه العلوم لما تعلمت منها حرفًا، لا أنت ولا غيرك، ويقول في موضع آخر: قال لي سيدي - أعني جعفرًا -، قلت: جعلت فداك، قال لي: هل تعرف لم سمي الطلسم طلسمًا؟ ثم يذكر المعرفة والمقالة عن الإمام الصادق، راجع كتاب «الإمام الصادق ملهم الكيمياء» للدكتور محمد يحيى الهاشمي، يذكر لك أصول هذه المصنفات، والوثائق التي تحف بهذه المصنفات وترجعها من قلم جابر بن حيان إلى فم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام.

إذن لم ينحصر عطاء أهل البيت في مجال الأحكام الفقهية، أو في مجال المعارف العقائدية، بل عطاؤهم ونتاجهم شمل حتى عالم الطبيعة، حتى العالم المادي، تحدثوا عنه بغزارة وبإسهاب.

المجال الأخير: مجال علم الحقوق.

هل تحدث أهل البيت عن مجال الحقوق؟ نعم، وسبقوا غيرهم فيه، علي بن أبي طالب أول من تحدث في مجال نظم الحقوق في عهده إلى مالك الأشتر، هذا العهد المفصل الذي قال فيه: «**وأشعر قلبك الرحمة للرعية، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعًا ضاريًا، يغتنم أكلهم؛ فإن الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق**».

علي بن أبي طالب الذي اعتبر جميع الأديان، واعتبر جميع الملل لا تصلح أن تكون فارقًا بين إنسان وإنسان، احتفظ بالكرامة البشرية للإنسان بما هو إنسان، علي بن أبي طالب يمر مع أصحابه على كنيسة، فيقول له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين، هذا مكان طالما عصي فيه الله، فيقول علي: «مه! **لا تقل هكذا، قل: هذا مكان طالما عبد فيه الله**». علي أمير المؤمنين يمر على رجل متسول في الشارع، فيقول: «**ما هذا؟**» لأنه رئيس دولة، فلا يريد أن يرى في دولته متسولًا أو فقيرًا، قالوا له: هذا رجل نصراني كان يخدم، فكبر سنه وعجز عن الخدمة، فأصبح يتسول، قال: «**أعطوه من بيت مال المسلمين، ولا تدعوه يتكفف الناس بالمسألة**».

إذا نظرنا إلى رسالة الحقوق الواردة عن الإمام زين العابدين، فنراه قد تحدث عن حقوق لم تتحدث عنها لائحة الحقوق الإنسانية في هيئة الأمم المتحدة، تحدث عن حقوق لم يتحدث عنها إلى اليوم، كحق الجار، وحق الأرض، وحق الزمن، وحق السمع، وحق البصر، وحق الرجل، وحق اليد، وحق الأموات على الأحياء، هل هناك لائحة تتحدث أن للأموات حقوقًا على الأحياء حتى بعد موتهم ودفنهم؟ هل هناك لائحة تتحدث عن حق الزمن والجار عليك؟ لائحة الحقوق التي صدرت من فم زين العابدين تؤكد لنا العطاء الإنساني الغزير الذي صدر عن أهل بيت النبوة «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

إذن لا معنى أن يقال: أهل البيت أفراد عاديون نقلوا أحكامًا فقهية فقط! لا، أهل البيت تحدثوا عن عالم الأمر، ولم يتحدث عنه مفكر آخر، أهل البيت تحدثوا في مختلف حقول المعرفة: الحقل الفلسفي والمادي والروحي والحقوقي، وبهذا كان أهل البيت نجومًا في سماء المعرفة البشرية.

معنى التقليد

تقرير بحث آية الله العظمى
السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله)

السيد محمد علي اليزابي

والبحث في المقام في معنى التقليد لغة، وفي المعاني التي استعمل التقليد فيها في الروايات، ولا نبحث هنا عن اختلاف الفقهاء في حقيقة التقليد وما به يتحقق التقليد فنقول:

إن التقليد كما يستفاد من المعاجم اللغوية كان يستعمل أولاً في جعل شيء محسوسٍ على الرقبة سواء كان انساناً او حيواناً، وهذا يظهر من الامثلة التي ذكروها: (قلد السيف جعل حمالته في عنقه، وقلد القلادة جعلها في عنقه، ومنه تقلد الهدي).

ثم انتقل من الامر المحسوس اذ ما جعل وما جعل عليه كلاهما محسوسان، الى أمر معنوي، وهذا شأن كثير من المفردات والالفاظ المستعملة في الامور المعنوية، اذ ان استعمال اللفظ في الامور المعنوية كثيراً ما يكون مسبوقاً باستعماله في الامور المحسوسة وفي هذه المرحلة يمكن القول باستعماله في معنيين:

المعنى الاول: تقليد الولاة عملاً من الاعمال،

فيقال: (قلده ولاية البلد الفلاني) ومعنى ذلك تفويض ادارة تلك البلدة اليه وجعل ذلك على عاقته، وليس المراد من العاتق في هذا المقال وفي هذه المرحلة العضو المحسوس ولا الجعل المحسوس، بل الجعل الاعتباري، أي ان من وظائفه القيام بالعمل الذي جعل على عاقته، وفي لسان العرب: (تقليد الولاة الاعمال) حيث عدّ ذلك من موارد استعمال التقليد، ونظير ذلك ما اذا جعل التدقيق في كتاب او تصحيح كتاب على عاتق الغير، ففي هذه الموارد معناه اعتبار عمل على ذمة شخص، وهو استعارة من المعنى الاول.

المعنى الثاني: التقليد بمعنى الاتباع، فيقال: قلده، اي: اتبع نظره، ومن الواضح ان اتباع النظر ليس من جعل شيء على عاتقه، فان التقليد قد يكون في النظر وقد يكون في النظر والارادة، فان كان في النظر فهو اتباع في النظرية، وان كان في الارادة ايضاً فيكون التقليد مساوقاً للإطاعة، فيقال: قلده في كذا، أي: اطاعه، وغير بعيد أن يكون التقليد في مرحلة التحول الى هذا المعنى الجديد سواء كان بمعنى الاتباع او الاطاعة من النقل، لا من الاستعارة كما في المعنى الثاني، حيث لا عناية في جعل النظر على عاقته، والتابع وان كان يتابع نظريته الا أنه ليس معناه جعل النظر على عاتقه كما كان في المعنى الاخر، اذ إن في ذلك المعنى عناية الى ذلك حيث يجعل على عاتقه عملاً من الاعمال، والشاهد عليه ان التقليد بهذا لا المعنى يتعدى بـ(في) فيقال: قلده في كذا، ومنه التقليد في الدين كما في لسان العرب، واما التقليد بالمعنى الاول فلا يتعدى الى المفعول الثاني بـ(في) فيقال قلده القلادة مثلاً.

فاذا ظهر ذلك يقع الكلام في أنه قيل بأن زيداً يقلد فلاناً في احكام دينه، هل المراد منه مجرد التبعية، وليس له عناية بجعل العمل على ذمة الغير يعني جعل أعمال المقلِّد على ذمة المقلَّد أو أن في هذا التعبير عناية بجعل الأعمال على ذمة المجتهد مثلاً؟

الظاهر أن المراد هو الأول وإن كان مصحح النقل هو حيثية جعله على عاتقه، لكن هذه الحيثية فعلاً غير موجودة ومستعمل في التبعية.

وبعبارة أخرى: هل إن الفعل أو الترك الذي يأتي به المقلد مستنداً الى رأي فلان هو من جعل العمل أو الترك في ذمته أو أنه مجرد اتباع في نظره، وإذا كان من جعل العمل أو الترك في ذمته، فهل يكون معنى ذلك أن وزر العمل أو الترك على عاتقه أو لا، فنقول:

ظهر مما تقلد أن التقليد مستعمل في المعنى الثاني وهو الاتباع، ولم يلحظ فيه جعل شيء على عاتق المقلَّد، نعم ربما يكون ذلك ملحوظاً في المراحل الأولية للانتقال، اما جعل العمل على عاتقه فهذا غير ملحوظ في الاستعمال، فضلاً

عـن أن يكـون وزر العمـل عليـه، الا أن جماعـة مـن الأكابـر ذكـروا مـا يخالـف مـا ذكرنـاه كالمحقـق الاصفهـاني، فانـه جعـل العمـل كالقـلادة في رقبـة الغـير[1] وبهـذا رد عـلى مـن قـال بـأنّ التقليـد مجـرد البنـاء عـلى العمـل او التعلـم وان هـذا ممـا لا يناسـب المعنـى اللغـوي، بـل المناسـب جعـل العمـل عـلى عاتقـه.

وقـال بعـض الأكابـر مـا محصلـه التقليـد في هـذه المرحلـة بمعنـى جعـل وزر العمـل في عنـق المجتهـد[2].

الا أنـه قـد ظهـر بانـه نقـل مـن المعنـى اللغـوي ولم يلحـظ فيـه جعـل العمـل عـلى ذمـة الغـير مطلقـاً فضـلاً عـن وزر العمـل حيـث لا وزر في التقليـد عـلى مجتهـد جامـع للشرائـط، نعـم لـو لم يكـن مجتهـداً واقعـاً وكان تقليـد هـذا الشـخص منـه مـن الجهـل القصـوري حيـث أغـراه جمـع، يكـون وزر عملـه عليـه، واما المجتهـد الجامـع للشرائـط فـلا ورز عليـه في العمـل عـلى وفـق رأيـه حتـى يقـال بـان التقليـد جعـل وزر العمـل في عنقـه.

وقـد استشـهد ببعـض الروايـات الدالـة عـلى ان كل مفـت ضامـن أو مـن أفتـى بغـير علـم لحقـه وزر مـن عمـل بفتيـاه. ومـن الواضـح أن البحـث في التقليـد، لا اختصـاص لـه بمـن أفتـى بغـير علـم، بـل مطلـق التقليـد ومنـه التقليـد للمجتهـد الجامـع للشرائـط.

وعليـه فالتقليـد بمعنـى الاتبـاع، والاتبـاع قـد يكـون في العمـل الجوانحـي وقـد يكـون في العمـل الجوارحـي، وقـد ينطبـق عليـه عنـوان الاطاعـة وقـد لا ينطبـق.

وأمـا الروايـات التـي اسـتعمل فيهـا التقليـد سـواء صحيحـة كانـت أم غـير صحيحـة:

فمنهـا: مـا في التفسـير المنسـوب الى العسـكري عليه السلام: «فأمـا مـن كان مـن الفقهـاء صائنـاً لنفسـه، حافظـاً لدينـه، مخالفـاً لهـواه مطيعـاً لأمـر مـولاه فللعـوام ان يقلـدوه».

والظاهـر مـن هـذه الروايـة أن للعـوام اتبـاع آرائـه، والشـاهد عـلى ذلـك مـا ذكـر مـن قبـل هـذه العبـارة (فلذلـك ذمهـم الله لمـا قلـدوا مـن قـد عرفـوا ومـن علمـوا انـه لا يجـوز قبـول خـبره، ولا تصديقـه في حكايتـه، ولا العمـل بـما يؤديـه اليهـم عمـن لم يشـاهدوه، ووجـب عليهـم النظـر بانفسـهم في امـر رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

حيـث ذكـر التقليـد في قبـال النظـر بانفسـهم في أمـر رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانـه قـد ينظـر الشـخص في أمـر وقـد يتبـع نظـر الغـير، فلـو كانـت في هـذه الروايـة عنايـة الى جعـل شيء في عنقـه فانـما يكـون هـو النظـر، واما العمـل أو وزر العمـل فـلا، وجعـل النظـر عـلى عنقـه انـما كان في المراحـل الاوليـة للنقـل.

ومنهـا: مـا في الـكافي عـن محمـد بـن عبيـدة

(١) الاجتهاد والتقليد (للاصفهاني) ص١٤.
(٢) انظر: موسوعة الامام الخوئي ١: ٥٩ و٣١٣.

قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: «يا محمد أنتم أشد تقليدا أم المرجئة؟ «قال: قلت قلدنا وقلدوا، فقال: «لم أسألك عن هذا»، فلم يكن عندي جواب أكثر من الجواب الأول فقال أبو الحسن عليه السلام: «إن المرجئة نصبت رجلا لم تفرض طاعته وقلدوه وأنتم نصبتم رجلا وفرضتم طاعته ثم لم تقلدوه فهم أشد منكم تقليداً».

ولا يستبعد ان يكون المراد من التقليد في هذه الرواية هو الاطاعة حيث ذكر التقليد مع عدم فرض الطاعة، كما يمكن أن يكون المراد من التقليد هو مطلق الاتباع فيما بينوه لمن لم تفرض طاعته من حلال الله وحرامه، والرواية ضعيفة السند.

ومنها: ما في قرب الاسناد والسند صحيح قال وقلت: للرضا عليه السلام: جعلت فداك، إن بعض أصحابنا يقولون: نسمع الأثر يحكى عنك وعن آبائك عليهم السلام فنقيس عليه ونعمل به.

فقال: «سبحان الله، لا والله ما هذا من دين جعفر عليه السلام، هؤلاء قوم لا حاجة بهم إلينا، قد خرجوا من طاعتنا وصاروا في موضعنا، فأين التقليد الذي كانوا يقلدون جعفرا وأبا جعفر عليهما السلام ؟».

والمراد من التقليد في هذه الامور هو الاتباع، أي: أين اتباعهم لجعفر وأبي جعفر عليهما السلام حيث نهيا عن القياس، وليس المراد الاعمال التي جعلوها على عاتق جعفر وأبي جعفر عليهما السلام.

ومنها: ما في الوسائل وعن محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن إبراهيم بن خالد عن عبد الله بن وضاح، عن أبي بصير قال: دخلت أم خالد العبدية على أبي عبد الله عليه السلام وأنا عنده فقالت: جعلت فداك إنه يعتريني قراقر في بطني وقد وصف لي أطباء العراق النبيذ بالسويق فقال: «ما يمنعك من شربه ؟»فقالت: قد قلدتك ديني فقال: «فلا تذوقي منه قطرة».

والمراد من التقليد في هذه الرواية الاتباع أيضاً.

فظهر أن موارد استعمال التقليد في الروايات أيضاً هو الاتباع، لا جعل العمل او وزر العمل على عاتق الغير.

[الاجتهاد والتقليد]

بعض أسرار الصوم و امتيازه عن سائر العبادات

الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

تشترك العبادات عموما بأنها أفعال وجودية، هي بمنزلة الجسد، و روحها النية، فالصلاة والطواف و السعي، كالغسل و الوضوء و أمثالها أعمال جسدية، إذا لم يأت بها المكلف بداعي القربة فهي كجسد ميت لا حياة فيه، و كأشباح بلا أرواح، و لكن مهما كان فهو جسم عبادة، و صورة طاعة، و كل العبادات في ذلك سواء، أعني أنها أجساد و لها أرواح، فإن كانت تلك الروح فيه فهو حي، و إلّا فهو ميت، إلّا الصوم فقد كاد بل كان روحا مجردة، وحياة متمحضة لا جسم له و لا مادة، و هذه ميزة امتاز بها الصوم عن سائر العبادات، و لم يشاركه فيها سوى الإحرام، فإنّ الصيام و الإحرام كل منهما تروك محضة، و عدميات صرفة، ليس فيها من الأعمال الجسمانية شيء، و لكن الإحرام فضحته ثياب الإحرام و لبسها، و بقي الصيام محتفظا بروحيته و تجرّده من كل عمل ظاهري، و لم يتجاوز عن كونه نية خالصة، و عبادة قلبية خفية، لا يعلم بها إلّا صاحبها و ربها العالم بالسرائر.

و من هنا اختص الصوم بميزة انفرد بها دون كل عبادة، و هي عدم إمكان دخول الرياء فيه، بل يستحيل ذلك إلّا بالقول، فيكون الرياء حين

ذاك بالعبارة لا بالعبادة، و بالكلام لا بالصيام.

و الإحرام أيضا بجوهره و إن كان نية وتروكا كالصوم إلّا أن الإحرام فيه عمل واحد وجودي، و هو لبس ثياب الإحرام، و منه قد يتأتى تدخل الرياء فيه، بخلاف الصوم المتمحض في النية و التروك فقط، فهو عبادة صامتة خرساء، و معاملة سرية بين القلب و الرب. و لعل هذا هو المراد من الحديث المشهور: الصوم لي و أنا أجزي به - مبنيا للفاعل - فيكون القصد أنه تعالى تكريما للصائم يتولى جزاءه مباشرة من دون وسائط الفيض، و على المفعول: فيكون المراد أنه هو جزائي و اللائق بمقام عظمتي وتجردي، فإنّ الصائم يتجرد و يصير روحانيا، و المتخلق بأخلاق الروحانيين يلحق بهم، و يكون لحوقه بهم جزاؤه لهم، سواء عاد الضمير إلى الصوم، أو للصائم، هذا.

مضافا إلى ما يتضمنه الصوم من الفوائد الصحية، و الرياضة البدنية، و تربية قوة الإرادة، و مضاء العزم، و تهذيب النفس، و قمعها عن الانقياد إلى بواعث الشهوات، و كبح جماح قوتي الشهوة و الغضب اللتين هما أصل كل جريمة، والسبب في هتك كل حرمة.

و من آثاره تذكر حال الفقراء و أهل الفاقة، و من كضه الطوى و أمضه الجوع، فإنّ الصيام يوجب رقة القلب و اندفاع الدمعة، فيواسي إخوانه، و يكون حليما و رحيما و مهبطا للرحمة، و الراحمون يرحمهم الله تعالى.

[الفردوس الأعلى]

الإمام علي عليه السلام وأول مراحل الفِدى

السيد زهير الاعرجي

حِجر بن عَدي

السيد محمد بحر العلوم.

سر الإهتمام بتنفيذ جيش اسامة

السيد محسن الأمين

وأول مراحل الفِدى

السيد زهير الاعرجي

ان الرغبة في البقاء على قيد الحياة ليست مرتبة بمقدار اللذة والمتع المادية التي يجنيها الانسان من بقائه حياً بل ان تلك الرغبة شعور غريزي لا يمكن الا للقلّة أو النخبة الافلات منه وهذا الشعور الفطري في التشبث بالحياة الدنيا له منشأ مرتبط برغبة الانسان الغريزية نحو البقاء على قيد الحياة حتى لو كان الانسان فقيراً معذّباً فقد يفضّل الفرد الفقير او المعذّب، الحياة مع الفاقة والحاجة، على الموت.

فالموت اذن، عملية مرعبة لا يريد الانسان ان يفكر فيها ما دام حياً واذا صدق هذا، فان الايثار لا يتم؛ لأنه يعني ببساطة طلب الموت على الحياة اختياراً.

لكن الإمام علي عليه السلام وهو في الثالثة والعشرين من عمره غيّر هذا المفهوم، وجعل طلب الموت والتضحية والايثار، الاصل في منهج حياته الدينية والاجتماعية فجعل حياته وقفاً للدين، واستعداداً كاملاً لحماية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل موقف، فقد قرر عليه السلام امتثال أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمبيت في فراشه صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة.

وكان عملاً جريئاً للغاية، لان أقل ما يمكن

توقعه في تلك الليلة هو أن يقطّع بالسيوف دون مقاومة وبدم بارد فيضيع دمه بين قبائل العرب.

وفي خصوص تضحيته تلك أنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[1].

فكان ما يميز ايثار الإمام علي عليه السلام ليلة الهجرة هو أن الظرف الذي كان يمرُّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة التي يحملها كان صعباً للغاية، وكانت التضحية جسيمة جداً، ولذلك كان انكار المصلحة الذاتية عند الامام عليه السلام في ذلك الموقف، ضخماً وعملاقاً.

ولا شك أن المصلحة الذاتية تحدد الدافع نحو العمل في ظروف معينة فعندما يأكل الانسان طعاماً طيباً في بلد يفيض بالخيرات والطيبات، فانه يتصرف من وحي مصلحته التكوينية، ولا ضير في ذلك ما دام الخيرُ كثيراً ولكنه لو أكل نفس نوعية ذلك الطعام في وقت مجاعة يتضور فيها أرحامه وجيرانه جوعاً وألماً، لعُدّ ذلك اهتماماً بمصلحته الذاتية وتكريساً لفكرة الانانية.

ولو كان رسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر علياً عليه السلام بالمبيت على فراشه وهو في المدينة وقت سلم وأمان لما انطوى ذلك العمل على قضية مهمّة، لأنه لا يبرز انكاراً لمصلحة ذاتية ولكن الامر حصل في ظرف خطير للغاية، حيث تجمّع ممثلو بطون العرب ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنام علي عليه السلام - مختاراً - على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت ظلّ سيوف الأعداء، يتوقّع فيها سفك دمه في أية لحظة، هنا تجلى عند علي عليه السلام انكار الذات والترفع عن المصالح الذاتية بأجلى صورها.

ولو لم يكن هناك انسجامٌ فكري وعقائدي وروحي تام بين المُؤْثِر - وهو علي عليه السلام والمُؤْثَر له - وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما تحقق الايثار بمعناه الكلي الواقعي؛ لان الاختلاف في الدوافع والاهداف لا يولّد ايثاراً.

ذلك، أن اليقين بصحة الرسالة، والقطع بالنبوة الحقة، والثقة بنصر الله عزّ وجلّ، جعلت من قضية ذلك الايثار أمراً حتميّاً، واندماجاً لا يمكن تفكيكه بينهما (عليهما الصلاة والسلام) فلم تكن هناك مشاعر فردية في حبّ الذات، أو الخوف من الموت، أو الحفاظ على المصالح الشخصية بقدر ما كان هناك اندماجٌ في الرسالة وقائدها واندكاكٌ في أهدافها ووسائلها.

ولكن الرسالة السماوية كانت بحاجة الى جهد جماعي متظافر من أجل نقل فحواها وأهدافها النبيلة الى البشرية كي تؤمن بها وتدافع عنها، وتركيبة دينية تضم أفراداً

على رأسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده

(١) البقرة: ٢٠٧

علي بن أبي طالب عليه السلام ونخبة طيبة من الموالين لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لابد أن تنتصر على أعدائها؛ ذلك لان التظافر والتآزر الذي كان يشدّ تلك التركيبة أوصلها الى درجات عليا من الايثار وتفضيل الغير على الذات.

لقد أظهر علي عليه السلام بايثاره ذلك ثلاث خصال على درجة كبيرة من الاهمية، وهي:

الاولى: الاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله والتضحية من أجلها ومن أجل الحفاظ على قائدها صلى الله عليه وآله.

الثانية: أنه كان المدافع الحقيقي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقصى ما يفعله المؤْثِر أن يقدّم للمؤْثَر له نفسه وجسده.

الثالثة: ان طبيعة الامام عليه السلام كانت ترى الموت والحياة في الله، على حد سواء، فاذا كان في الموت رضاً لله سبحانه فمرحباً بالموت.

وإذا كان في الحياة - بخشونتها وآلامها - رضاً لله عزّ وجل فمرحباً بها وسيلة من وسائل نشر الدين.

والى ذلك يشير عليه السلام ضمن كلام له لمّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله: «... **والله لابنُ أبي طالب آنسُ بالموتِ من الطفل بثدي أمه....**».

فلم يكن الايثار عند الامام عليه السلام حبّاً لمصلحة ذاتية، بل كان حبّاً لله عزّ وجل وذوباناً في القيم الدينية العليا والصفات المعنوية الأسمى، واندماجاً في مصلحة الدين وملاكاته وأهدافه العليا في الحياة الانسانية.

[السيرة الاجتماعية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام]

سر الاهتمام بتنفيذ جيش أسامة

السيد محسن الامين

قال المفيد: عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة وأمره وندبه أن يخرج بجمهور الأمة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم واجتمع رأيه على إخراج جماعة من مقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يخلف في الرياسة ويطمع في التقدم على الناس بالامارة ويستتب الامر لمن استخلفه من بعده ولا ينازعه في حقه منازع فعقد له الإمرة وجد في اخراجهم وامر أسامة بالبروز عن المدينة بعسكره إلى الجرف وحث الناس على الخروج إليه والمسير معه وحذرهم من التلوم والإبطاء فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها.

وإذا أنعمنا النظر في مجاري هذه الحوادث وتأملناها بانصاف مجرد عن شوائب العقائد أمكننا ان نقول إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع ما تحققه من دنو

أجله وأومأ إليه بما أعلنه للملأ في خطبته التي خطبها في حجة الوداع بقوله «فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» وقوله في بعض خطبه «قد حان مني خفوق من بين أظهركم» وتأكيده الوصاية بالثقلين وقوله «قد كان جبرئيل يعرض علي القرآن في كل سنة مرة وقد عرضه علي العام مرتين ولا أراه إلا لحضور أجلي»، واعتكافه في ذلك العام عشرين يوما وقد كان يعتكف عشرة أيام كما رواه ابن سعد في الطبقات وغير ذلك من التصريح والتلويح بأنه عالم بدنو اجله ومع عروض المرض له واشتداده عليه وهو مع ذلك كله يجتهد في تجهيز جيش أسامة ويحث عليه ويكرر الحث مرارا أنفذوا بعث أسامة ويخرج مرة بعد مرة وهو مريض عاصب رأسه ويخطبهم ويقول أنفذوا بعث أسامة يكررها كل مرة ثلاث مرات وقد عقد لأسامة لواءه بعد عروض المرض له فقد عرفت عن ابن سعد انه بدء المرض يوم الأربعاء وعقد لأسامة يوم الخميس ولا يبقى أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا وينتدب للخروج تحت امرة أسامة وهو غلام لا يشغله ما هو فيه من شدة المرض وتحقق دنو الاجل عن الاشتداد في تجهيز جيش أسامة وقد كان مقتضى ظاهر الحال وسداد الرأي ان لا يبعث جيشا فيه أكابر الصحابة وجمهور المسلمين في مثل تلك الحال التي يتخوف على نفسه فيها الموت لأن تدارك ما يخاف وقوعه عند وفاته واحكام أمر الخلافة في حياته أهم من تسيير جيش لغزو الروم بل لا يجوز في مثل تلك الحال ارسال الجيوش من المدينة ويلزم تعزيز القوة فيها استعدادا لما يخاف طروؤه من الفتن بوفاته التي أشار إليها بقوله «أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم» لا سيما انه قد بلغه ارتداد جماعة من العرب في عدة أماكن وادعاء بعضهم النبوة لما بلغهم مرضه كما نص عليه الطبري في تاريخه مع تأييده بالوحي وامتيازه عن سائر الخلق بجودة الرأي.

وعدم تمام ما حث عليه من تجهيز جيش أسامة وبقاء أسامة معسكرا بالجرف إلى ما بعد وفاته كل ذلك يدلنا على أن تجهيز هذا الجيش لم يكن من الأمور العادية يقصد به الغزو والفتح بل قصد به ما أشار إليه المفيد في كلامه السابق وانه كان لأمر أهم مما يتراءى خوف وقوعه بل لو قطعنا النظر عن ذلك كله لوجدنا ان ظاهر الامر يقتضي ان يشتغل في مثل تلك الحال بنفسه وبما عراه من المرض الشديد لا بتسيير الجيوش لغزو ليس فيه ما يقتضي الفور والعجلة مثل مهاجمة عدو أو طروء حادث لا يحسن التأخر عنه.

ويدلنا على ذلك أيضا اخباره عن فتن تقع بعده وتهويله في ذلك، روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي مويهبة مولى رسول الله ان رسول الله ﷺ قال من جوف الليل «اني قد امرت ان

استغفر لأهل البقيع فانطلق معي» فخرجت معه حتى جاء البقيع فاستغفر لأهله طويلا ثم قال «ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى».

وروى الطبري في تاريخه بسنده عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال لي: «يا أبا مويهبة اني قد امرت ان استغفر لأهل البقيع فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى»الحديث، فما هي هذه الفتن يا ترى التي هول بها وعظم امرها ووصفها بأنها كقطع الليل المظلم وانها متتابعة بلا انقطاع لا تنتقل إلى خير بل إلى ما هو شر من الأول وكيف تجتمع هذه الرواية مع ما يروونه عنه: «خير القرون قرني ثم الذي يليه».

وقال المفيد: لما أحس بالمرض اخذ بيد علي واتبعه جماعة وتوجه إلى البقيع فقال إني قد امرت بالاستغفار لأهل البقيع فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم وقال: «السلام عليكم أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها ثم استغفر لأهل البقيع طويلا واقبل على علي فقال له: «ان جبرئيل كان يعرض علي القرآن في كل سنة مرة وقد عرضه علي العام مرتين ولا أراه إلا لحضور أجلي»، ثم عاد إلى منزله فمكث ثلاثة أيام موعوكا ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس معتمدا على أمير المؤمنين بيده اليمنى وعلى الفضل بن العباس باليد الأخرى حتى صعد المنبر فخطب ثم نزل فصلى بالناس صلاة خفيفة ثم دخل بيته وكان إذ ذاك بيت أم سلمة، وفي رواية الحاكم والطبري انه كان بيت ميمونة.

[أعيان الشيعة]

حجر بن عدي

السيد محمد بحر العلوم.

اشتدت المعارضة ضد الحكم الأموي في الكوفة، وبات اللغط يعم حتى القصر الأموي فيها، ولم يسلم الوالي من رذاذ هذا الحديث، وحتى من أقرب مجالسيه، وكان المغيرة بن شعبة قد بلغ به الضعف، حتى لم يتمكن من إدارة القصر فضلاً عن المدينة.

وكانت المعارضة قد تمثلت بصحابة علي عليه السلام، أولئك النفر الذين لا تأخذهم في الله لومة لائمٍ.

إذ كان من الصعب عليها أن ترى أن أموال المسلمين تجبى لسد نهم معاوية، الذي يوزعها على الباطل كيفما شاء.

وكان من الصعب عليها أن ترى أن الأحكام المرتجلة الجائرة تنفذ في حق المسلمين، لا تستند في أصولها على القرآن، أو السنة.

وكان من الصعب عليها أن ترى الخلافة الإسلامية، في طريقها إلى ملكٍ عضوضٍ، يتقلب به معاوية وآله من دون منازعٍ.

كانت المعارضة ترى كل هذا، وتجد كل هذه المفارقات، وهي التي بين جنبيها روح علي وعدالته، فكانت لا تتمكن أن تغضي على الباطل، فصممت على المجاهرة بذلك مهما كلفها الأمر، وفعلاً اتقدت أول شرارةٍ للمعارضة بصورتها الواضحة، عندما أمر معاوية المغيرة بأن يرسل له أموالاً من خراج العراق، وحاول أن ينفذ الوالي أمر سيده، فشمرت المعارضة سواعدها

لـه، ومسكت القافلة التي تحمل الأموال، وهي بعد لم تغادر الكوفة إلا قليلاً.

وعلم المغيرة بذلك، ولكن المعارضة أبت أن تلين لطلب الوالي، سواءً كان بالقوة، أم بالتوسل، إلا بعد أن أرجع الأموال إلى الكوفة، ووزعها على الناس.

وبلغ معاوية هذه التظاهرة عليه، وموقف المعارضة منه وإفلاسه من خراج العراق، وخاصةً الكوفة، وكتم في نفسه أمراً، وإن كان لم يتمكن من تبديد سحابة الغيظ والحنق، التي ظهرت على سحنته فقد لازمته أياماً طويلةً، وهو يفكر في اجتثاث الخطر عنه مهما كلفه الأمر.

أما المعارضة فكانت تضم جمعاً من المسلمين يتزعمهم عشرة رجالٍ من خيرة صحابة الإمام علي عليه السلام، وكان المبرز فيهم هو حجر بن عدي.

وحجر ذلك الصحابي الجريء، الذي وفد على الرسول مع أخيه فأسلم وحسن إسلامه، وتقرب من الدعوة حتى كان من أفاضل الصحابة، وحجرٌ ذلك الإنسان الذي قال عنه الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يا أهل الكوفة سيقتل منكم سبعة نفرٍ، هم من خياركم بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد».

وقال عنه الإمام الحسن عليه السلام مخاطباً معاوية: «ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المجتبين؟ الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدوانا من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جرأةً على الله، واستخفافاً بعهده».

وتقول عائشة لمعاوية بعد أن قتل حجر وأصحابه: يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه، أما والله لقد بلغني أنه سيقتل بعذراء سبعة رجال، يغضب الله، وأهل السماء لهم..»

والكوفة عندما أفاقت على أصوات المعارضة للحكم الأموي، تهامست من تكون هذه الجماعة التي ألقت بنفسها في أتونٍ من نارٍ؟ وتهادى إلى سماعها أن حجراً، ورفقاءه هم أقطاب المعارضة فحسبوا لهم ألف حساب.

وفي مرةٍ والمغيرة يخطب الناس في مسجد الكوفة فقال: من الإمام علي، ثم لعنه، ولعن شيعته.

فقام إليه زيد بن أرقم قائلاً: يا مغيرة ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن سب الأموات، فلم تسب علياً، وقد مات.

وقدم عليه مرةً خطباء الكوفة، فقام صعصعة ابن صوحان ومدح علياً، فأمر المغيرة أن يخرجوه ويقيموه على المصطبة؛ ليلعن علياً.

فقال صعصعة: لعن الله من لعن الله ولعن علي ابن أبي طالبٍ.

فأخبر الجلاوزة المغيرة بذلك.

فقال: أقسم بالله لتقيدنه، فخرج صعصعة فقال: إن هذا يأبى إلا علي بن أبي طالب، فالعنوه لعنه الله.

فقال المغيرة: أخرجوه أخرج الله نفسه.

وكان المغيرة يقول: إن عليًا لم ينكحه رسول الله ﷺ ابنته حباً، ولكنه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه.

وكأن الروايات الكثيرة الصحيحة لم تطرق آذان المغيرة ومن على شاكلته، فقد قال رسول الله ﷺ: «من سب علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله عز وجل ومن سب الله كبه الله على منخريه في النار».

وقال رسول الله ﷺ: «من أحب علياً أحبني، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي، لا يحبك إلا مؤمنٌ، ولا يبغضك إلا منافق»[1].

وكان حجرٌ وغير حجرٍ من أقطاب المعارضة في المجلس، وكان هذا الموقف ثقيلاً عليهم لا يطاق، فما كان منه إلا أن وقف بين الجماهير، وصرخ في وجه المغيرة غاضباً، بحيث لفت انتباه الحاضرين أجمع، قال: إنك لا تدري أيها الإنسان بمن تولع أو هرمت؟ مر لنا بأعطياتنا وأرزاقنا، فإنك قد حبستها عنا، ولم يكن ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين، وتقريظ المجرمين.

وكثر اللغط وصاح الناس من كل جانبٍ حتى اضطر المغيرة أن يهرب إلى القصر؛ ليستر نفسه فيه، ويسمع معاوية بهذا كله، ويحرق الأرم من هذه المعارضة، وصمم على مكافحتها، خشية أن يسري الأمر في غير الكوفة، فأرسل زياد ابن أبيه ذلك الرجل القاسي الذي ما دخل اللين قلبه، ولا عرف الرحمة يوماً.

وفي اليوم الذي وضع فيه زياد قدمه في الكوفة، أرسل خلف حجر بن عدي، وكان صديقه من قبل، وعندما قابله قال له: قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحمله منك، وإني والله لا أحتملك على مثل ذلك أبداً..

أرأيت ما كنت تعرفني به من حب علي ووده، فإن الله قد سلخه من صدري، فصيره بغضاً وعداوةً، وما كنت تعرفني به من بغض معاوية وعداوته، فإن الله قد سلخه من صدري فصيره حباً ومودةً..

وقام حجر وخرج من عنده، وهو يحسب لهذا المجلس ألف حسابٍ، لما يتضمن من تهديدٍ ووعيدٍ مخفي من قبل الأمير الجديد، الفظ الغليظ، واجتمع حجر بإخوانه المؤمنين، وبدؤوا يضعون خطةً لمحاسبة التيار الأموي المتمثل في الوالي وبطانته، رغم الكابوس المرعب الذي

(١) راجع عن مصادر هذه الروايات الغدير: ج١٠، ص٦٧٨ ـ ٢٨٠.

فرضه زياد على الكوفة، وانتظرت المعارضة اللحظة المناسبة التي تعلنها حرباً شعواء على هذا الوالي القاسي، وتهيأت تلك اللحظة في أصيل يوم الجمعة، والناس مجتمعون في مسجد الكوفة، والأمير لا يدع مناسبةً، أو غير مناسبة إلا وشتم فيها علياً، وحجر ورفاق حجر يتحرقون غيظاً، وطالت الخطبة، وطال الحديث، والناس بين خائفٍ لا يريد أن يحرك ساكناً، أو مرتزق يخشى قطع الأمل عنه.

ولكن حجراً ذلك الرجل الصلب، الذي لا يهاب الموت دفعه واجبه الديني لأن ينبه الرجل إلى وقت الفريضة بأنه قد مر، وتأخرت الصلاة أكثر من عادتها.

فقام ووقف وأشار إلى زيادٍ أن الصلاة قد تأخر موعدها، فلا تسترسل في الخطبة، وتترك الواجب.

ولكن زياداً لم يعر لحديثه أي أهمية، بل استمر في الخطبة، ولم ينفع معه تذكرةٌ مرةً وثانيةً، بل استمر في الخطبة مما اضطره أن يأخذ حفنةً من حصى المسجد ويضرب بها وجه زيادٍ، ويلتفت إلى القوم ويصيح: شاهت الوجوه ذلا، يمنعكم زيادٌ صلاتكم.

وكان هذا القدر كافياً في إثارة الناس وهياجهم، فقد وقف حجر وصلى، وصلى الناس معه، مما اضطر زيادٌ أن ينزل من المنبر ويصلي خائباً فاشلاً.

والى هنا، وقد توسعت الشقة بين الطرفين، وكانت هذه الحركة كافيةً لإثارة هذا الوالي القاسي، على معاقبة هذه المعارضة السافرة، التي يتزعمها حجرٌ وجماعته.

وشمر زيادٌ عن ساعديه لكبح جماح حجر وجماعته، ليقبرها قبل أن يستفحل أمرها، فأخذ يطارد المعارضة، ويتبع آثارها، وكان في مقدمة المطاردين حجر.

ودعا زيادٌ محمد بن الأشعث، وقال له: لتأتيني به، أو لأقطعن كل نخلةٍ لك، وأهدم دورك، ثم لا تسلم مني، حتى أقطعك إرباً إرباً.

وجدّ الأشعث وصحبه في طلب المعارضة، حتى قبض عليهم، ومنهم حجر، وكان عددهم اثني عشر رجلاً، وأودعهم بالسجن مثقلين بالحديد، ومصفدين بالسلاسل.

ولم تنته الخطة إلى هذا الحد، فلا ينفع حقد الأمويين أن يبقى حجر وجماعته رهن السجن فحسب، بل لابد لهم من صورةٍ ظاهريةٍ، تبرز عليهم القتل والتلف.

وأشار زيادٌ إلى بعض جلاوزته، بأن ينظموا محضراً يتضمن موقف حجرٍ وجماعته من العهد، وكان ما أراد، فقد نظم هذا المحضر بالسرعة، تلبيةً لعواطف الأمير، وضم شهادة الكثير من وجوه الكوفة، الذين شرى ضميرهم بالمال،

وعقيدتهم بالجاه، فتهالكوا على المحضر موقعين؛ لينالوا جزاءهم من زيادٍ، والرضا عنهم من معاوية.

وألقى زياد نظرة على المحضر، فلم يعجبه، فالتفت إلى مستشاره عمرو بن حريث قائلاً: ما أظن هذه شهادة قاطعة، وأحب أن تكون الشهادة أقوى وأشد.

لقد كتبوا المحضر، وماذا كتبوا؟ فقد خطت أقلامهم ما نصه: إن حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، وعيب زيادٍ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أن هذا الأمر لا يصح إلا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر، وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب، ومنع الذم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه، وإن هؤلاء الذين معه هم رؤوس أصحابه، وعلى مثل رأيه.

كانت هذه الشهادة، ولكن زياداً لم ير في هذه الكلمات كفايةً لتحقيق مأربه، وأظهر الغضب في وجه أحد مرتزقته، وهو أبو بردة بن أبي موسى، وتلكأ الرجل وتلعثم، واضطرب مثل السعفة في مهب الريح، وتقدم لسيده يكسب رضاه، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب، والفتنة، وجمع إليه الجموع؛ يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله.

والى هنا قفزت البسمة على وجه زيادٍ، لقد رضي بهذا الأسلوب وتهافت الموقعون يرسمون تواقيعهم على هذا المحضر الخطير، حتى بلغ عددهم ما يزيد على السبعين وفي طليعتهم: عمر ابن سعد بن أبي وقاص وشمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، وزجر بن قيس، وكلهم من أعيان الكوفة.

كان زياد يعتقد أن هذا المحضر يحد من نشاط حجر، ويوقف ثورته على الحكم الأموي، وعرف غير حجر قصة المحضر وخطورته، ولكن هذا العبد الطاهر كان كالحديد، لا يلين ولا يتأثر من كل هذه الأساليب، التي ستكون له بعد زمانٍ حبل المقصلة.

ولا نستغرب من حجر صموده في وجه الطغيان، ولا نستعظم عليه صلابته، فقد سجل التأريخ له حياةً ملؤها البطولة، وهو الذي وقف في يوم الجمل، وصفين، والنهروان، كما أنه كان مع الجيش الإسلامي الذي فتح الشام إلى جانب المسلمين.

[من مدرسة الامام علي عليه السلام]

الأنسان والمسؤولية
د.علي القائمي

حاجة الإنسان المحدودة
الشيخ محمد تقي فلسفي

اهمية الاخلاق
السيد احمد المددي

حضر الاسلام القسوة على الفتيات
الشيخ مجيد الصائغ

"الإنسان والمسؤولية"

د.علي القائمي

مسؤولية الانسان:

الانسان كائن عاقل ومسؤول ومكلف بسبب عقله ولا يمكنه التهرب من ذلك. وسبب هذه المسؤولية هو الفهم، اذ يمكنه الفصل والقضاء في الحوادث والظروف المختلفة وادراك الامور.

وتنبع مسؤولية الانسان من أعماقه ولا يمكنه أن يرفضها، فهو يدرك في باطنه انه لا يوجد أي عمل أو سلوك دون حساب، ولا يمكنه العيش كيفما يشاء أو ينساق خلف الأحداث والوقائع المختلفة مهما كانت خصوصياتها.

وجاء في القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى أن الانسان لن يترك وشأنه ولن يعامل كما الحيوان وهذا ما ندركه جميعاً. وقد وصف الانسان بأنه صاحب عهد مع خالقه: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ**...﴾[1] ومسؤول في الوقت

(١) يس: ٦٠.

نفسه ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[1] ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[2] وتدل ظواهر الامور ان هذه المسؤولية ثقيلة للغاية ولا يمكن للإنسان الاستهانة بها.

- ضرورة وعي المسؤولية:

لكن الشيء المهم هو ان نعي هذه المسؤولية وحدودها وابعادها في حياتنا الفردية والاجتماعية، وحري بنا ايضا ان ندرك مسؤوليتنا في يومنا هذا والوظيفة التي ستغطي على الوظائف الأخرى.

نعم، ان ما نفهمه من الإسلام هو ان السعادة تكمن في ادراك الانسان في كل زمان لمسؤولياته ووظيفته وان يعلم بالذي عليه ان يفعله في يومه حتى يتحرك ويتقدم بوعي. فالمسؤوليات والوظائف تتغير مع مرور الأزمان، اذ قد تجب الدعوة مثلا احياناً والجهاد في احيان اخرى، او الصراخ والسكوت في فترات أخرى.

كما يجب علينا ونحن نمارس مسؤوليتنا، ان نعي الجوانب الخاصة بالدين وقيمه والتفاسير المتعددة وغير ذلك حتى يمكننا اتخاذ المواقف المناسبة حيال الوقائع المختلفة. وينبغي اتباع أساليب وطرق مناسبة. وأخيرا استخدام العقل الذي سيرشدنا في فهمنا ويعيننا على انجاز وظائفنا بأفضل وجه.

(١) الصافات: ٢٤.

(٢) الاسراء: ٣٦.

- دائرة المسؤولية:

إن دائرة مسؤولية الانسان واسعة جداً، فهي تتسع من جانب بمستوى عروج الانسان وسموه وتتحدد من جانب اخر بمقدار استعداده وامكانياته، وتكبر دائرة المسؤولية كلما زادت كفاءة الانسان ولياقته، ويضاعف التكليف كلما زادت امكاناته.

تمثل قدرتنا واستطاعتنا من المسائل التربوية المهمة، اذا ليس بمقدور الجميع العمل كما كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا يمكن الاستهانة بأدوارنا في الوقت نفسه ايضا واحتقار انفسنا. ولا بد من الأخذ بنظر الاعتبار مستوى الادراك والفهم والقابلية والاستعداد في الثواب والعقاب. وان يكون المبدأ في قبوله اية مسؤولية هو عدم استصغار انفسنا والاستفادة من طاقاتنا وقدراتنا بأقصى ما يمكن.

وتشمل المسؤولية انفسنا ايضاً ﴿قوا انفسكم﴾ ﴿عليكم انفسكم﴾ وأهلينا ﴿واهليكم ناراً﴾ ثم مجتمعنا وامتنا والبشرية جمعاء ﴿كنتم خير امة اخرجت للناس﴾ ولابد من المضي بوعي وفهم في جميع هذه الموارد والالتزام والتنفيذ.

ثمة ضمانات عديدة تسهل للإنسان تطبيق هذه المسؤولية وتنفيذها عملياً واهمها:

١. الضمير الانساني الذي يستقر في اعماق الانسان، ويقوم بتأنيب الشخص متى ما انحرف وتعدى الحدود المرسومة له فيقف كالسد امامه.

٢. قابلية التمييز بين الحق والباطل ويقوم به العقل الذي يتعرف على حسنات الامور وسيئاتها فيجعلنا نقف بعيدا عن الخسة والدناءة ونقدر جهود الآخرين ونشترك معهم في المسؤولية ونستفيد من خدماتهم دون انتظار للأجر.

٣. اعتقاد الانسان بالحساب والكتاب والثواب والعقاب وهذا ما تؤمن به اغلب الأديان.

٤. الشعور فطرياً بقيمة أداء المسؤولية وقداستها وينطبق هذا على الجميع وهو بمثابة الدافع الداخلي للإنسان ويجب عليه أن يهتم به.

٥. الإشراف والمراقبة الاجتماعية التي تفرض على الانسان التحرك وبذل الجهد واداء الوظائف الاجتماعية كما الآخرين.

بشكل عام فان ما ذكرناه يوفر الأرضية ويحدد مسار أداء المسؤولية وتنفيذها ويفرض على الانسان التفكير بصورة سليمة والتخطيط بشكل احسن.

- الثواب و العقاب:

يمثل الثواب والعقاب والإيمان بها اهم العوامل التي تدفع الانسان نحو العمل والنشاط واداء مسؤوليته. فالعقل يقضي بعدم التساوي بين العامل بمسؤولية والتارك لها، اذ سيثاب الأول ويعاقب الثاني حتماً.

ويدرك الانسان فطريا ان الخالق الذي خلقه قد وضع له ضوابط وقوانين تحدد تصرفاته حتى لا تكون عبثاً، وثمة ارضية عقلية للثواب والعقاب يؤمن بها العقلاء.

فالاعتقاد والتصديق بهما، بانهما يمثلان قوة تنفيذية جيدة لتحديد مسار العمل، كما وانهما يمثلان ايضا جانبا من نتيجة العمل وتجسده بينما تمثل المكافاة والعقوبة الجانب الاخر الاني (الدنيوي) منه، وهذا كله يرتبط بنوع التعامل مع أوامر الباري جل وعلا.

[دور الأب في التربية]

أهمية الأخلاق

السيد أحمد المددي

لفظة الاخلاق مستخدمة في القرآن الكريم من أصل عربي وقد وصف بها النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم واشتهر في اصطلاحاتهم في اللغة العربية ان هذه اللفظة اذا كان الحرف الاول منها مفتوحاً فيراد بها الخلقة الظاهرية للإنسان واذا كانت مضمومة الاول اريد بها الجانب المعنوي للإنسان هذا هو الاختلاف في اللغة العربية.

ولسنا في هذه البحث نركز على المفردة في الجانب اللغوي فلها مجالها ودراستها الخاصة انما التركيز يكون على أهمية الاخلاق ودورها في حياة الانسان وتأكيد القرآن والنبي الاعظم وشخصيات الاسلام، كما أكد عليها كبار الفلاسفة والابحاث في هذا العنوان مستمرة منذ القدم والى يومنا هذا، فهنالك مؤلفات وكتب من أيام افلاطون وارسطو وفي اليوم الحاضر دراسات مفصلة وعميقة في الاخلاق وفي فلسفتها وخصوصياتها. ومباحث الاخلاق بصفة كلية مباحث هامة جداً للإنسان، ولا يمكن لأي مدرسة فكرية او مدرسة فلسفية او اجتماعية او اية حركة إصلاحية او اية انسان له مبدأ فكري معين تجاه الانسان الا ان يهتم بهذا الجانب، فان مسألة الاخلاق تشكل حجراً أساسياً بحيث لا يمكن ان يتصدى أحد بإصلاح الفرد او المجتمع الا أن يكون له اتجاه معين في تفسير الاخلاق وفلسفتها.

ان الشرائع الالهية والديانات السماوية ومدرسة الوحي من المستحيل ان تغفل عن هذا الجانب فتعتبر من المسائل الاساسية في كل مدرسة الوحي وليس في الاسلام فحسب، نعم التأكيد عليها في الاسلام جاء من جهات مختلفة فهو يؤكد على الاخلاق أكثر من بقية الشرائع والسر في ذلك يعود الى خاتمية هذه الشريعة المقدسة لان الخاتمية ليست عبارة لفظية تعبدية فحسب انما هي حقيقية واقعية مستمدة من أمر واقعي وجودي في حقيقة الوجود، بعبارة أخرى الخاتمية مرحلة مهمة من وحي السماء بحيث أن الانسان في تلقي كليات الوحي لا يحتاج الى نبي، وبتعبير أدق أن جميع ما يحتاج اليه الانسان في مسائل الحياة من غيب من شهود من مسائل اجتماعية من مسائل فردية وفي كل نواحي الحياة تنتهي بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيذكر لنا جميع ما نحتاج اليه في جميع الشؤون فاذا أخذنا ذلك بعين

الاعتبار ان الشرائع السماوية كما تؤمن بحياة دنيوية للإنسان تؤمن بحياة برزخية وأخروية للإنسان، ومن هنا تختلف جميع المدارس الفكرية البشرية عن المدارس الالهية، فالمدارس البشرية تهتم بالجانب الدنيوي للإنسان لا أكثر واما الشرائع السماوية تفتح للإنسان آفاقاً جديدة.

فالشريعة الخاتمة تتضمن جميع ما جاءت به الديانات السماوية التي سبقتها، اي ان الانسان في الكليات لا يحتاج الى مطلب غيبي لا يحتاج الى واسطة بينه وبين الله عز وجل، لكن يبقى الكلام في التطبيق والاجراء والتنفيذ، اما بالنسبة للكليات فجميع ما يحتاجه الانسان قد جاء به رسول الله ﷺ كما قال في حجة الوداع: «**يا أيها الناس والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به**»، ولذا نحن نتصور أنه لا يوجد فراغ في حياة الانسان فالكليات التي يحتاجها الانسان قد وفرها رسول الله ﷺ من جميع المراتب والشؤون، إذ إن المعرفة التي يحتاجها الانسان تنقسم الى العقائد والفقه والقانون والاخلاق والسلوك، فجميع المعارف التي نحتاجها تنبع من هذه الأصول الثلاثة كما اشتهر عند علماء الاسلام تقسيم هذه المعارف الى ثلاثة (العقيدة الفقه والاخلاق) ومن هنا يتضح أهمية الاخلاق في تكميل شخصية الانسان ومدى احتياجه لها، وتعرض العلماء لهذه الاقسام الثلاثة بالبحث والتفصيل والشرح والتدقيق وقد اعطوا اهمية عالية للأخلاق اذا جعلوها تقابل العقيدة والفقه، واعتمدوا في تقسيمهم هذا على الحديث، فقد جاء عن رسول الله ﷺ: «**العلم ثلاثة، وما سوى ذلك فهو فضل: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة**»ففسروا الآية المحكمة بالعقيدة، والفريصة العادلة يراد بها الفقه والسنة القائمة يراد بها الاخلاق.

ان الشريعة الاسلامية المقدسة حفظت بما جاءت به الشرائع السابقة واضافت لها وهذبتها، لان جملة من موضوعات الشرائع السابقة ابتليت بالتحريف ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾ فالشارع المقدس بين ما هو الصحيح في الشرائع السابقة، ﴿**انزلنا عليك**﴾ والمراد من المهيمن ان القرآن يصحح الاخطاء التي عرضت فيما بعد على التوراة والانجيل وصحف ابراهيم وموسى، وكل ما حدث على مر الزمان في هذه الصحف والكتب من التغيير والتلاعب يهيمن عليه القرآن فيوضح الصواب والخطأ، وقد ورد أن النبي الاكرم ﷺ قال: «**بعثت لأتمم مكارم الاخلاق**» وقد أشار بهذا الحديث الى نكتة مهمة من الشريعة المقدسة.

[سبيل الرشاد]

طاقة الإنسان المحدودة

الشيخ محمد تقي فلسفي

يهدف علماء النفس المعاصرون الى أن ينشئوا أفراداً مستقلين ومعتمدين على أنفسهم، ويمنعوا من نشوئهم طفيليين. لا شك في أن تربية كهذه قيّمة جداً، وتستحق الاكبار والتقدير، كما تظهر آثارها النيرة طيلة أيام الحياة بصورة تدريجية، ولكن يجب أن لا ننسى أن الطاقة الجسدية والروحية للإنسان محدودة، ولذلك فإن درجة اطمئنانه ونشاطه ستكون محدودة أيضاً.

إن من كان محروماً من الإيمان بالله، وكانت تربيته مطابقة للأساليب العلمية المحضة، فنشأ معتمداً على نفسه... فهو رجل العمل والنشاط ما لم يصل في حياته الى مأزق حرج... أما عندما يصطدم بمشاكل تستعصي على الحل، وتغلق جميع الأبواب والطرق الطبيعية بوجهه، يشعر باليأس والفشل، ويشلّ نشاطه، عندئذ يعجز الاعتماد على النفس من تهدئة خاطره والتخفيف من اضطرابه، وبعث الأمل في نفسه.

أما المؤمنون بخالق الكون، والذين يستندون الى قدرة الله العظيمة بالإضافة الى الاستقلال الروحي الذي يملكونه، والاعتماد على النفس الذي يتميزون به، فإنهم لا يصابون باليأس والقنوط أبداً... إنهم يذكرون الله تعالى في الأحوال الاعتيادية، ويستغلون جميع الوسائل والعوامل التي أوجدها خالق الكون في هذا العالم لتحقيق غاياتهم النبيلة وأهدافهم السامية. إنهم لا يتركون أبسط الفرص المؤدية الى السعادة تذهب عبثاً، وعندما يقعون في مأزق حرج لا يفقدون الأمل والتطامن، لأنهم لم يحصروا أرواحهم في دائرة العلل الطبيعية فقط، ولم يغفلوا عن القدرة الإلهية العظيمة التي هي فوق جميع القوى والطاقات لحظة واحدة. إنهم يستمدون العون من عناية الله في أشد الظروف وأحرج المواقف، ولا يطفأ له الأمل في أرواحهم أبداً...

إن أعظم عامل لاستقرار النفس وقوة الإرادة هو الاتكال على الله...﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[1]... وهذه سمة فريدة يمتاز بها المنهج التربوي لرسل السماء.

إن المناهج العلمية والتطبيقية تستطيع أن تربي الناس على الاعتماد على النفس، أما المنهج التربوي في الإسلام فإنه بالإضافة الى تأكيده على قيمة الاعتماد على النفس، يربي الأفراد على الإيمان بالله والاتكال عليه، وهذا هو من أعظم ميزات المدرسة الإسلامية في التربية.

[الطفل بين الوراثة والتربية]

(١) الرعد: ٢٨

خطر الاسلام القسوة على الفتيات

الشيخ مجيد الصائغ

من جملة اللبنات الاساسية في بلورة شخصية الفتاة بالتحديد وبنائها بناء رصيناً وفق الموازين التربوية عدم استعمال القسوة او الشدة معها في اكثر الاحيان، بل العكس هو الصحيح، فإن اللين والعطف في حقل التربية هو الاكثر تأثيرا واستجابةً من القسوة والعنف؛ وهذا ما يؤكد عليه علماء النفس والتربية وخصوصاً في هذا الدور من حياة الفتاة ومستقبل شبابها. ولا شك ان هناك حالات شاذة يؤثر فيها العامل الوراثي والبيئي، فتحتاج بعض الفتيات الى استعمال القسوة معهن في بعض الاحيان.

وتؤكد الروايات الاسلامية ان الذكور والاناث امانات بأيدي الاباء والامهات، وتربية الابناء حق مسلم لهم عند الابوين كما يفرضه الشرع والاخلاق[1].

فمن واجب الابوين المسلمين القيام بدورهما مع ابنائهما من خلال امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، ومن جانب اخر يجب تلبية دعوة الاسلام ووصايا الائمة التي تقول: «**عليكم بالأحداث فانهم اسرع الى كل خير**»[2].

وهكذا فلا يحق لاحد تجاهل امر تربية الابناء حتى وان كانوا ابناء الاخرين، فان

(١) رسالة الحقوق.
(٢) غرر الحكم.

الواجب يحتم على الجميع توجيه الاحداث الى سبل الخير والرشاد. ولاشك ان الاسلوب الامثل هو توجيه الفتيات والتعامل معهن بأسلوب المحاورة والمناقشة، والحوار يكون تارة على نحو منظم ومعد له سابقاً، وتارة اخرى على نحو عفوي ومفتوح. ومن المفضل ان تكون لدى الاباء خبرة لا باس بها من الاطلاع على العلوم النفسية والتربوية حتى يصبح التعامل في جو الاسرة، وخصوصاً مع البنات، على اسس رصينة يضع فيها رب الاسرة او ربة الاسرة هيكلية الاسرة المثالية، وهذا ما يدعو الاسلام اليه لخير الانسانية عامة.

ثم يأتي دور المربية، فينبغي ان تكون ذات قلب رؤوف عطوف ليس فيه اي مكان للقسوة او الغلظة، وهذا الجانب كذلك اكده الاسلام، في اختيار المربية وكيفية تعاملها ولاسيما ان الفتيات في دور المراهقة يتمتعن بدرجات عالية من الاخلاص والصدق وبميل عاطفي شديد. ومن الخطر تغلب الشعور العاطفي الطافح لديهن على منطق التفكير السليم، اذ يجب إعمال الرقابة على الفتاة وترشيدها باستمرار وعدم استعمال العنف والقسوة، فان في ذلك ردوداً سلبية على شخصية البنت. ومرحلة المراهقة هي فترة فوران العواطف وجيشان المشاعر والاحاسيس التي تترك اثاراً مباشرة على سلوك المراهقين وقد تؤدي الى عواقب وخيمة في حال اغفالها او استسهالها من قبل اولياء الامور والمربين، فلا بد من اتخاذ الطريق الامثل بعدم استخدام القسوة او الضغوط، لان هذه الفترة من عمر الفتيات غير متجانسة مع الميول والرغبات، فتحصل لهن حالة من الغضب وذلك بسبب النزاع والصراع حول المسائل اليومية او حول استملاك الاشياء، لكنها تختلف في سني المراهقة والبلوغ وتتركز الى حد كبير حول القضايا الاجتماعية ولا سيما في هذه الفترة، فإنها تغضب وتنفعل في حالات الشعور بالأذى والانزعاج والقلق والإخفاق في الحب والزواج، وعندما تواجه معارضة ابويها أمراً تحبه.

ومن اهم المشكلات الشائعة في اوساط البنات في اواخر سن المراهقة ما يأتي:

- الفشل.
- التأثير في الاخرين.
- عدم النشاط والفعالية.

وكل هذه المسائل تتصل بالكفالة الشخصية. والمعلوم ان دنيا الفتاة هي دنيا المشكلات والمعضلات وقلة التجربة في الحياة والعجز عن التكيف مع قضايا الواقع، كل ذلك يؤدي

الى ضغوط عليها، فالواجب على اولياء الامور والمربين ان يعلموا كيف يتعاملون معها فان الرفق بها والعطف عليها واحترام مشاعرها فيه ثواب عظيم:

والقاعدة التربوية في النظام الاسلامي تنص على انه لا يجوز اللجوء الى العنف الا بعد استنفاد كل الوسائل الاخرى واكتشاف عدم فعاليتها في معالجة ظاهرة الانحراف التي تشكل خطرا على شخصية الفتاة.

ولابد من دراسة الاساليب المثلى للتعامل مع الابناء وعدم استخدام العنف معهم، وليكن موقف المربي من الطفل كموقف الطبيب مع المريض، ففي الوقت الذي يتعامل مع الاول مع حالة مرضية في الشخصية والسلوك بهدف القضاء عليها يتعامل الثاني مع حالة مريض في الجسد، فالمجتمعات الإسلامية تختلف عن المجتمعات الغربية؛ وما حالة العنف التي يعيشها المجتمع الغربي الا بسبب عوامل عديدة من اهمها: أفلام الرعب وبرامج التلفزيون والموسيقى الصاخبة واخبار الحروب وصور العنف الموجودة في العالم والتي أغرقت الاطفال في جو من العنف والقتال. ان العنف الاجتماعي التي تتضافر في صناعة عدة مؤثرات في المجتمعات الغربية هو الذي جرد انسان تلك المجتمعات من نبض العاطفة وجعله انسانا معقدا يميل الى العنف ويلجا اليه.

ومن المعلوم ان الاسرة كانت ان تموت في الغرب وان الابناء يهملون آباءهم حتى يموتوا وحدهم دون ان يتفقدهم احد، وان الاب يهمل ولده عندما يبلغ يطرده من البيت ليبحث عن عمل بنفسه، والمرأة تسقط اجنتها طلبا للحرية وما الى ذلك، فمن الطبيعي ان تنعكس اجواء العنف الاجتماعي الذي يعيشه الناس سلبا على نفسية المعلم والمربي.

بينما نرى الاسلام قد حرم كل انواع العنف ضد الطفل إلا في الحالة التي يكون فيها وسيلة لإنقاذ روحه او عقله او جسده من خطر محقق. وقد ركّز الاسلام على مفهوم الرحمة التي اراد ان يحكم الانسان تعامله مع الاخر من خلالها، لاسيما اذا كان ضعيفا او عاجزا عن الدفاع عن نفسه، وغير قادر على فرض الطريقة المناسبة للتعامل معه من قبل الاخرين، فطالب الناس ان يتراحموا ويرحم بعضهم بعضا، اذا ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نُزع من شيء الا شانه.

[تربية الفتاة في الإسلام]

مكتبة الإمام الحكيم

إعداد: اوراق معرفية

يا صاحب الأمر

محمد جمال الهاشمي

سلامة الاختراع من الإتباع

إبن ابي الاصبع

ذكراك تبقى الى ما لا نهاياتِ

الشيخ محمد جواد السهلاني

مكتبة الإمام الحكيم

أوراق معرفية

المكتبات بساتين العلماء، المكتبة روح في جسد المدينة وذلك القلب النابض وسط كيان البلدة، هي كالشمس ترسل شعاعها ولا تبقي من ظلام، يهرب من نورها كل الجهل. وجود المكتبة يعطي للناس دافع البحث وحب القراءة والعلم، وهي حجة واضحة وبراهن ساطع لمزاولة العلم ورفع العذر لكل المتعللين .

في ١٩٥٧م، أسس المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم مكتبة خرجت من أحد اضلاع مسجد الهندي الشهير، الواقع في باب قبلة أمير المؤمنين عليه السلام .

شعر المرجع الحكيم بضرورة انشاء مكتبة تضم بين دفتها مختلف المصنفات العلمية والدينية، بغية ان يتزود منها طلاب العلم والحقيقة وكذا الباحثون في شتى الاختصاصات، فاشترى لها الكثير من المصنفات والمصادر القيمة من داخل العراق وخارجه.

وصلت للمكتبة اعداد كبيرة من الكتب والهدايا المخطوطة النفسية، ضاق بها المكان ولم تعد تتسع، فقرر السيد الحكيم قدس سره ان يوسع مكان المكتبة لاستيعاب المصادر، فقد بوشر بإعادة بنائها وتوسعتها بمساحة ١٨٠ م٢، انتهي من بنائها سنة ١٩٦٥م، صممت على خمسة ادوار:

صار الاسفل منها مخزناً للكتب والتجليد

وفوقه طابق يحتوي على ادارة وخزانة المخطوطات وارضي يحتوي على الادارة وقاعة الرجال للمطالعة وغرفة الفهارس، والدور الاول للمطبوعات وقاعة للنساء والدور الثاني للمطبوعات.

ولارتباط المكتبة بأسرة آل الحكيم فإنها اغلقت بعد ان اعتقل النظام البائد افراد الاسرة الكرام بتاريخ ١١/ ٥/ ١٩٨٣م. فكانت خسارة كبرى لطلاب العلم والمعرفة آنذاك، فالمكتبة روضة الطلاب والباحثين ومقهاهم الذي فيه يتنفسون الحياة الحقيقة بعيداً عن ضجيج الدنيا وخرابها.

ولم تسلم المكتبة من تجريف العلم والحقيقة يوم الحيف والطغيان، اذ فقدت من ابنائها ما يقارب على الالفين كتاب وأحرقت عشرات المصنفات الرائعة والثمينة، حتى ان من بين تلك الكتب المفقودة قرآناً مخطوطاً الرق مزداناً بنقوش ملونة ممتازة اضافة الى تعرض اثاثها ومحتوياتها للحرق والسرق.

لكن اهل العلم والتقوى لم يكتب لهم الدهر الا ان يسجلوا اسمهم في احياء العلم وتراث الانسانية فقام بعض الاخيار بشراء مصنفاتها ومصادرها ومخطوطاتها من سراقها وارجاعها الى المكتبة بعد هدوء الاوضاع.

تقسم المكتبة الى:

اولاً: الامانة العامة: يعين فيها الامين من قبل المتولي الشرعي للمكتبة، وممن تولى امانة المكتبة:

١. الشيخ عبد الحليم الشيخ محمد حسين الزين العاملي.

من الفضلاء المعروفين، تولى منصب مفتي النبطية في لبنان، توفي سنة **١٤٢٧هـ**. تولى أمانتها مدة ثلاثة أشهر من سنة **١٩٥٧-١٩٥٨م**.

٢. السيد محمد تقي السيد محمد علي الحكيم.

من العلماء الأجلاء المدرسين، ولد في النجف سنة(**١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م**) ونشأ بها، أكمل تحصيله الدراسي الحوزوي على جمع من المدرسين الأفاضل. تولى أمانتها من سنة **١٩٥٨-١٩٧٢م**.

٣. الشيخ عبد الهادي الشيخ عباس الأسدي.

من الخطباء الفضلاء والكتاب الصحفيين، ولد في النجف سنة **١٣٣٥هـ** ونشأ بها، أصدر مجلة (الدليل) وهي من المجلات النجفية الرائدة، توفي في النجف سنة **١٤٢٤هـ**. تولى أمانتها من سنة **١٩٧٢-١٩٧٣م**.

٤. الشيخ محمد مهدي الشيخ محمد حسن نجف.

من فضلاء الحوزة العلمية وله يد في تحقيق كتب التراث الإسلامي، ومؤلف قدير صدرت له مؤلفات قيمة، ولد في النجف سنة **١٩٤٨م**. تولى أمانتها من سنة **١٩٧٣-١٩٨٠م**.

٥. الشهيد الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم

نجل المؤسس.

من العلماء الأجلاء والمحققين المعروفين، ولد في النجف سنة **١٩٤٠م** ونشأ بها، جمع بين الدراستين الحوزوية والأكاديمية وتخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة حاصلاً على شهادة الدكتوراه، استشهد على يد أزلام النظام المباد سنة **١٩٨٥م**. تولى أمانتها من سنة **١٩٨٠-١٩٨٣م**.

٦. السيد محمد السيد كاظم القاضي.

من فضلاء الحوزة وله يد في تحقيق التراث الإسلامي، ولد في النجف سنة **١٩٦٢م** ونشأ بها وأكمل دراسته على فضلاء المدرسين. تولى أمانتها من سنة **١٩٨٣-١٩٩١م**.

٧. السيد جواد السيد كاظم الحكيم.

من الفضلاء القديرين والمطلعين الواعين، ولد في النجف سنة **١٩٥٩م** ونشأ بها وأكمل دراسته الأكاديمية متخرجاً في كلية العلوم/ قسم الكيمياء سنة **١٩٧٩م**. تولى أمانتها من سنة **١٩٩١م** - وإلى الوقت الحاضر.

ثانياً: الادارة: يكون المدير فيها معاون الامين العام لها، مهامه تصريف اعمال المكتبة ونشاطاتها والتنسيق بين مسؤولي الاقسام.

ثالثاً: قسم المخطوطات: يحتوي على اربعة آلاف مجلد موزعة على مختلف العلوم والفنون المعروفة.

رابعاً: المخطوطات المصورة: تمد الباحث بمزيد من المعلومات حول المخطوطات التي تمتلكها المكتبة . وصورت بعض المصادر على المايكروفلم ووصلت الى اكثر من (١٠٠٠) مجلد.

قسم المطبوعات: احد اهم الاقسام التي توفر المصادر الورقية للقراء والباحثين في مختلف العلوم والفنون، اذ تضم المكتبة عدداً وافراً من المصادر نحو: التفسير، وعلوم القرآن، والحديث، والعقائد، والفقه لكافة المذاهب الإسلامية، وكتب التأريخ القديم والحديث، والتراجم، والقانون، والجغرافية، وكتب الأدب والشعر والدواوين ودراسات النقد الأدبي وأمثالها، وكتب العلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء والرياضيات، وكتب الفلسفة والمنطق، والسياسة، وعلم النفس، والاجتماع، وكتب الأخلاق والتصوف، والإدارة، والاقتصاد، والمحاسبة، والإحصاء، واللغة العربية وعلومها.

قسم الفروع: تمتلك المكتبة فروعاً في محافظات العراق، بمبادرة وتوصية من مؤسسها الامام الحكيم قدس سره تثقيفاً وتعليماً لتلك الدوائر التي ضعفت فيها القراءة وشحت المصادر منها، اذ بلغ عدد فروع المكتبة اكثر من (١١٥) فرعاً في مختلف المحافظات والمدن العراقية.

سلامة الاختراع من الاتباع

بن أبي الإصبع

وهو أن يخترع الأول معنى لم يسبق إليه ولم يتبع فيه كقول، عنترة في وصف الذباب [كامل]

هزجاً يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الأجذم

وكقول ابن الرقاع في تشبيه قرن الخشف [كامل]

تزجى أغن كأن إبرة روقه
قلم أصاب من الدواة مدادها

وكقول ذي الرمة في تشبيه الليل [طويل]

وليل كجلباب العروس أدرعته
بأربعة والشخص في العين واحد

وكقول النابغة الذبياني في وصف النسور [طويل]

تراهن خلف القوم زوراً عيونها
جلوس الشيوخ في مسوك الأرانب

فهذه اختراعات المتقدمين التي سبقوا إليها، ولم يلحقوا فيها.

وما اختراعات المولدين التي سبق إليها قائلها ولم يتبع فيها قول السيد الحميري في علي عليه السلام: [بسيط]

لكن أبو حسن والله أيده
قد كان عند اللقا للطعن معتادا

إذا رأى معشراً حرباً أنامهم
إنامة الريح في أبياتها عادا

قال الحاتمي بعد إيراد هذين البيتين في هذا الباب: لم يسبق السيد إلى هذا المعنى، ولم يتبع فيه، فإنا ما سمعنا من شبه إنساناً بالريح غيره، وهذا وهم من الحاتمي لأن هذا المعنى لعبد الله بن العباس رضي الله عنه في الحديث الصحيح الذي وصف فيه رسول الله ﷺ بالجود في كل زمان، وخصوصاً في شهر رمضان حيث قال:

كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، كان كالريح المرسلة فغاية ما فعله السيد أنه نقل المعنى من الوصف بالجود إلى الوصف بالشجاعة، وإلا فنفس المعنى في الموضعين تشبيه الإنسان بالريح، غير أن السيد أخذ المعنى نثراً، فعقده بالوزن شعراً فله هذه الفضيلة لا فضيلة الاختراع، وعلى هذا يكون باب حسن الاتباع أحق بهذا الشعر من باب سلامة الاختراع، ومن العجب كيف ذهب ذلك على الحاتمي مع تقدمه في الأدب وحذقه بالنقد هذا على أننا جعلنا تشبيه الحميري نفس الإمام علي عليه السلام بالريح مجازاً، والحقيقة في ذلك غير هذا؛ لأن لفظ البيت يدل على أنه شبه بإنامة الإمام محاربيه بإنامة الرياح عاداً، فالشاعر إنما شبه إنامة بإنامة، لأنفس المنيم بنفس الريح..

ومتى شئت أن تتلاشى في هذه المعاني عندك قديمها وحديثها فتدبر ما جاء من هذا الباب في الكتاب العزيز، مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾[1] فانظر إلى غرابة هذا التمثيل الذي يتضمن هذا الإفراط في المبالغة مع كونه جارياً على الحق خارجاً مخرج الصدق، إذا اقتصر فيه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلها سلباً لما تسلبه، وتعجيز كل من دون الله سبحانه كائناً من كان عن خلق مثله، ثم نزل بهم في التمثيل عن رتبة الخلق إذ هي مما يعجز عن مثلها كل قادر غير الله عز وجل إلى استنقاذ النزر التفه الذي تسلبه الذباب على ضعفها، لأن الظفر بنفسها أيسر من الظفر بما تسلبه، ولم يسمع مثل هذا التمثيل في بابه لأحد قبل نزول القرآن العزيز، ولم يتناوله متناول كما فعل في أكثر المعاني إلى الآن، ولو تتبع ذلك في الكتاب الكريم لوجد لهذا الموضع أمثال شتى كقول رسول الله ﷺ: حمى الوطيس و مات حتف أنفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، والسعيد من وعظ بغيره في أشياء كثيرة، مما اخترعه النبي ﷺ ولم يتبع فيه إلى الآن.

[تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر]

(١) الحج: ٧٣.

ياصاحب الأمر

محمد جمال الهاشمي

تبلّـج الامـر وانجابـت دياجينـا
ورفـرف النـصر واهتـزّت مواضينـا

يـا ليلة النصف من شعبان، ما برحت
ذكـراك تغـري بنجواهـا أمانينـا

عـودي علينـا كـما تهـوى مفاخرنـا
وطالعينـا بـما تـرضي معالينـا

مولـودك البكـر مـا انفكّـت خواطـره
تثـيره، ومعانيـه تسـلّينا

الطالـب الثـأر ممّـن بـزَّ موقفنـا
مـن الزمـان، وممّـن هـدّ ماضينـا

والنـاشر الرايـة الشـهباء، تعرفهـا
أيّامنـا، وتناغيهـا لياليـنا

وابـن الائمـة مـن آل النبـي، ومـن
تـمَّ الكتـاب بـه شرحـاً وتبيينـا

ومـن بـه ينـشر الاسـلام رايتـه
فينطـوي الكفـر مخـذولاً وموهونـا

ومـن يؤسّـس فيـه الديـن دولتـه
ويجعـل الحـقّ للتاريـخ قانونـا

بقيّـة الله مـن أمسـت حقيقتـه
سرّاً، بمخـزن علـم الله مكنونـا

ذكراكَ تبقى إلى ما لا نهايات

الشيخ محمد جواد السهلاني

قالها الشيخ محمد جواد السهلاني في رثاء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد ألقاها نيابة عنه أحد أولاده في الحفل السنوي الكبير في مسجده بذكرى استشهاد الإمام عام ١٩٦٠م:

ذكراكَ تبقى إلى ما لا نهايات ... وذكر غيرك يفنى بعد ساعاتِ

ذكراك مولاي آياتٌ مخلَّدةٌ ... هي البطولةُ قد صيغت بآياتِ

ذكراك عطّرت الدنيا بأجمعها ... فشعّ من ذكرها نورُ الهداياتِ

ما إن ذُكرتَ ففيك العدل نذكره ... يا قاضيَ العدل في كلّ الخلافاتِ

قد جئتَ في زمنٍ لم يفهموك بهِ ... وكلُّ جيلٍ يحيل الفهمَ للآتي

حارت عقول الورى في فهم حيدرةٍ ... إلا النبيّ وخلاق السماواتِ

ما أنجبت (أمُّ دفر) مذ بدايتها ... ذاتاً كذاتك في كلِّ الولاداتِ

ما بين أصحابه آخى الرسول، وما ... رأى سواك أخاً يومَ المؤاخاة

ولا ألوم الذي غالى بحيدرةٍ ... لكنني لستُ من أهلِ المغالاة

ضاعت حقوقُك في عصر به ألفوا ... أن يسجدوا فيه للعزّى واللّاتِ

لولاكَ ما رفع الإسلامُ رايتَهُ ... خفّاقةً في الدنا من فوق راياتِ

لولا حسامك كان الدينُ مضيعةً ... لكلِّ أهوجَ من أهل الضلالاتِ

نهجُ البلاغةِ من آياتهِ سطعت ... أنوارُ هدي كأنوارٍ بمشكاةِ

نهج البلاغة دستورٌ إلى أُممٍ ... من فيضه تستقي كلُّ الحكوماتِ

يدعـو إلى العـدل ، والأخـلاق رائـدهُ
في كلّ فصـلٍ وفي شـتّى العبـاراتِ

مـا كان أسـعد قومـي لـو بـه عملـوا
لمـا خضعنـا لقانـون العقوبـاتِ

مـولايَ آمـل يـوم الحـشر تشـفع لي
إن لم أنـلْ عطفكـم يـا طـولَ آهـاتي

ضاعـت حقوقـي يـا مـولاي في زمـنٍ
وكـم شـكوت ولم تُسـمع شـكاياتي

وحاربتنـي الليـالي ، فادّرعـتُ لهـا
بحبّكـم ، وهـو درعـي في الملـماتِ

أنـت الإمـام الـذي نرجـو شـفاعته
يـوم الجـزاء لأصحـاب الشـفاعاتِ

مواقـف لـك في الإسـلام يذكرهـا
لـك الرسـول بعنـوان المباهـاةِ

جلّت عـن الحصر ، لا يُحـص لها عـددٌ
مثـل الكواكـب في أُفـق السـماواتِ

تحنـو عـلى البائـس المسـكين ، تسـعفه
كأنـه لـك ابـنٌ مـن سـلالاتِ

تدعـو لإنقـاذه مـن كلّ معضلـة
هـذي وصايـاك تدعـو للمواسـاةِ

حتى ابنُ ملجم كم أوصيت فيه وكم
منحتـه منـك عطفـاً في المـبرّاتِ

هـو الـذي قـد جنـت كفّـاه واقترفـت
جنايـةً، دونهـا كلّ الجنايـاتِ

ويـل (ابـن ملجـم) فالتاريـخ يلعنـه
في كلّ آنٍ بلعنـاتٍ ولعنـاتِ

لـولا الصـلاة وذكـر الله يشـغله
لمـا تمكّـن منـه الغاشـم العـاتي

أبـا الحسـين ولائـي ذا أُقدّمـه
لشـخصك الفـذّ ، فاقبـل لي مـوالاتي

إيـه (ابـن ملجـم) لم تقتـلْ أبـا حسـنٍ
فإنـه خالـد في الـروح والـذاتِ

يا نفس:

الصراط طريقان، والناس فريقان: سعيد وما أراك، وشقي وعصاك، هبلت أللنوم جبلت؟! وقتلت أللهو عدلت؟! تستطيبين ركوب الاخطار، وورود التيار، ولحوق العار والشنار - لأجل الدنيا - وتستلذين سف الرماد، ونقل السماد، ووطي البلاد للاولاد، وتصبرين على نقل الجبال، وسف السبال، لشهوة المال، وربما تبدلين الايمان بالكفر، وتحفرين الجبال بالظفر، للدنانير الصفر، لا تكرهين صداعا، إذا نلت كراعا .

يا نفس:

لا تصحبي الدنيا صحبة بحال، ولا تنظري إلى أبنائها إلا من عال، ولا تخفضي جناحك لبنيها، ولا تضعضعي ركنك لبانيها، ولا تمدي عينيك إلى زخارفها، ولا تبسطي يدك إلى مخارفها.

فالسعيد من تركها لطلابها، ويطرح الجيفة لكلابها، يدع الطعام طاويا، ويذر الشراب صاديا، والحازم من قدم الزاد لعقبة العقبى، وآتى المال على حبه ذوي القربى.

يا نفس:

خالفي هواك فإنها زبانية، وطلقي دنياك فإنها زانية، والمال رزق اتيح، ونزل ابيح، فمن به شح وضن، فقد اتهم الرازق وأساء الظن، ومن حل عقد فلسه فقد حاز ملكا مقيما، ومن توق شح نفسه فقد فاز فوزا عظيما، فطوبى لكل غني نفاع للغير، وتبا لكل دني مناع للخير.

[محاسبة النفس اللوامة/ الشيخ تقي الدين الكفعمي]